الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministère de l'enseignement supérieur et de la recherche scientifique

جامـــــعـــــة8 مـــاي 1945 قـــالمـــــــة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

UNIVERSITE 08 MAI 1945-GUELMA
faculté : des lettres et des langues

الرقم:..... **N° :**.....

مذكرة مقدمة لنيل شهادة

الماستر

(تخصص أدب جزائري)

جماليات المكان في شعر ابن حمديس الصقلي
–البائية و السينية أنموذجا–

إعداد الطالبة:
هناء براهميه

إشراف الأستاذة:
فريدة زرقين

تاريخ المناقشة: 22 جوان 2016

اللجنة الفاحصة الآتية

أحلام عثامنية	**رئيسًا**	**الرتبة: أستاذ مساعد .أ**	**الجامعة: 8 ماي 1945 قالمة**
فريدة زرقين	**مقررًا**	**الرتبة: أستاذ التعليم العالي.أ**	**الجامعة: 8 ماي 1945 قالمة**
فوزية ابراهيمي	**ممتحناً**	**الرتبة: أستاذ مساعد .أ**	**الجامعة: 8 ماي 1945 قالمة**

السنة الجامعية

2015- 2016م

1436 -1437هـ

مقدمة:

مقدمة:

عادة ما يبعثنا الأثر القديم على الإحساس بقيمته كأعظم ما تكون فننجذب اليه راغبين في مطالعته، ومستمتعين بالتفسح في أرجائه، واحسب أن دراسة الشعر المغاربي تستوجب على صاحبها، استحضار الجو النفسي والتاريخي لتلك الحقبة حتى يتحقق الانسجام معه في كيان واحد، ومن ثم يستطيع تذوقه وليس هذا فحسب بل مادام الشعر يحمل نبضا إنسانيا مهما تكن خصوصيته فإنّ له قابلية للقراءة.

والمكان بوصفه عنصرا أساسيا في العمل الأدبي استدعى انتباهي في شعر ابن حمديس الصقلي الأندلسي, ومن ثم تتبعت أبعاده مستجلية ما يحمله من دلالات ومعاني،ومبينة كيف كان التأثير المتبادل بين الشاعر والمكان الذي أخذ يضع منه ملحمة خاصة به، وتارة يكون بمثابة العنصر السلبي الذي يقضي عليه ويستاء منه.

والحق أنّ هذا العنصر الفني استهواني بدافع ميلي إلى قراءة هذا الشاعر المتميز من بين الشعراء الصقليين والمغاربة, كما أن ذكر الأمكنة باختلافها وتكرار ذلك بمختلف دلالاته وتوظيفالشاعر له توظيفا فنيا يوحي بعبقريته في اتخاذ العنصر أداة لتشكيل عمله الأدبي،مما زادني اقترابا من الموضوع واتخاذه نموذجا للمذكرة.

توخيت في هذه المذكرة أن أحدد المكان وعناصره الجزئية التي كانت أساسا في بناء الشاعر صرحه الفني، وكيف ذاب ابن حمديس في المكان وتأثر به أوأذابه ثم أعاد تشكيله بخياله في فلسفة تكاد تكون معقدة ليثبت من خلاله حياته بما يمنحه المكان من أثر في نفسه.

و جعلت الدراسة تحت عنوان«**جماليات المكان في شعر ابن حمديس–البائية والسينيةأنموذجا–**»،و اقتضت طبيعة موضوع البحث أن أجعله فصلين, يسبقهما مقدمة ومدخل.

في المدخل: تحدثت عن مفهوم المكان لغة واصطلاحا كما تعرضت لعلاقة الشاعر بالمكان.

وقسمت الفصل الأول الى مبحثين . في المبحث الأول تناولت أبعاد المكان؛ وتعرضت للبعد النفسي والبعد الوطني والسياسي بالإضافةإلى البعد التاريخي والديني.

أما المبحث الثاني تحدثت فيه عن رمزية المكان في شعر ابن حمديسمركزة على بعض الرموز مثل الصحراء ،البحر ،و القبر.

الفصل الثاني: تناولت فيه الصورة الشعرية في شعر ابن حمديس.

"فقد أضفى شاعرنا قدرا وفيرا من ذاته عبر التشبيه والاستعارة والكناية والتصوير والتشخيص، انه الطلل الفني الذي يسكن أعماق الشاعر, انه نصه الذي لا يسام من حمله ولا يمل من ترديده".[1]

وهكذا تعرضت إلى الصورة التشبيهية والاستعارية والكنائية كل على حده مع بعض الأبيات التي تخدم علاقة الصورة بالمكان وجمالياتها.

وفي الخاتمة: سجلت أهم النتائج والمعطيات التي توصلت اليها من خلال البحث.

كما ذكرت قائمة المصادر والمراجع التي أفادتني في مدة الدراسة ورتبتها ترتيبا ألف بائيا.

وقد اتبعت في إنجاز هذا البحث المنهج الوصفي وهو منهج مناسب لموضوع البحث.

ومن الصعوبات التي واجهتني بعض مفردات الشاعرالتي كانت صعبة ومركبة، عدم توفر المراجع التي تهتم بدراسة حياة الشاعر ابن حمديس و الدراسات التي أجريت حول حياته وشعره.

---

[1]:حبيب مونسي، فلسفة المكان في الشعر العربي، قراءة موضوعاتية جمالية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ط) ،ص 30.

و في الأخير أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذة المشرفة على توجيهها و نصائحها القيمة و صبرها ، كما أشكر لجنة المناقشة، وقسم اللغة الأدب العربي الذي احتضنني ورعاني طوال خمس سنوات.

المدخل

1) مفهوم المكان:

أ_ لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور " في باب "مكن" المكن الموضع والجمع أمكنة كقذال و أقذلة وأماكنجمع الجمع .

يقول ليت ماكان في أصل الفعل لأنه موضع لكينونة الشيء فيه غير أنّه لما كثر أجروه في التصريف مجرى فعال،فقالوا له،وقد تمكن وليست هذا بأعجب من تمسكن المسكن .

يبطلأن يكون مكان فعالا لأنّ العرب تقول من مكانك، وقم مكانك واقعد مقعدك فقد دلّ على أنّه مصدر من مكان أو موضع فيه"[1].

ويعرفه أبو البقاء في كتابه (الكليات) "بأنّه هو الحاوي للشيء "المتمكن" المستقر من التمكن"[2].

ويرى أحمد رضا أنّه : " الموضع للشيء،جمعأمكنة،ومكن جمع أماكن "[3].

أمّا في المعجم الوسيط : "المكان الموضع والمترلة يقال هو رفيع المكان (ج)،أمكنة و(المكانة) الموضع"[4].

وجاء أيضا أنّه :"من كان يكون كونا وكيانا وكينونة الشيء :حدث ووجد وصار،المكان جمع أماكن وأمكنة وهو الموضع والمفعل من الكون"[5].

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1994، ص414.

[2]-أبو البقاء،الكليات،القاهرة،مصر،(دت)،332.

[3]- أحمد رضا ،علم اللغة(موسوعة لغوية)،منشورات دار المكتبة ،الحياة،بيروت،لبنان،(دط)،(دت)،ص332

[4]- ابراهيم مصطفى وآخرون،المعجم الوسيط،القاهرة،مصر،ط1، 1990،ج1 ،ص805.

[5]- معجم اللغة العربية ،المنجد في اللغة والاعلام،دار المشرق،بيروت،لبنان،ط1، 1992،ص704.

وقبل المعاجم جاء استعمال هذه اللفظة في القرآن الكريم.حيث ورد بصور مختلفة،نذكر منها:

قال الله تعالى:" وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَّاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ".[1]

كما نجد هذه اللفظة في سورة مريم اتخذت دلالات مختلفة فقوله تعالى :" وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَإِذِ انْتَبَذَتْ مِنْأَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ".[2] أي اعتزلتهم وابتعدت عنهم إلى شرقي المسجد المقدس .

وقوله تعالى :"وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عِلِيًّا "[3]

وأيضا:" فَحَمَلَتْهُفَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قِصِيًّا "[4]

وقوله تعالى :"وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِفَكَأَنَّما خَرَّ مِنَ السَمَاءِ فَتَخْطَفُه الطّيْرأَوْ تَهْوِي بِهِ الرِيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ"[5]

فمن خلال هذه الآيات نرى أنّ كلمة المكان أخذت معنى المستقر أو الموضع.ومنهذه التعريفات نرى أنّ مفهوم المكان يأخذ معنى غير محدد ويحمل احتمالات كثيرة ومتعددة إلّا أنّأغلبها ينصب في أنّ المعنى الذي يدور حول "الموضع" رغم اختلاف طريقة ذكرها .

ب- اصطلاحا :

من الضروري ضبط المصطلح وذلك بسبب ارتباط المصطلحات بالمفاهيم لكلّعلم،فالمصطلح في العلوم الإنسانية يكون أكثر شمولا وتداخلا لذا يجب تحديده.

يعني المكان فيأبسط تعريفاته:

---

[1]- سورة يس،الآية:67.

[2]- سورة مريم،الآية :16.

[3]- سورة مريم،الآية :57.

[4]- سورة مريم،الآية :22.

[5]- سورة الحج،الآية:31.

المكان: "الموضع والجمع أمكنة وهو المحل (lieu) المحدد الذي يشغله الجسم نقول مكان فسيح ومكان ضيق وهو مرادف بلا امتداد"[1].

نرى من خلال هذا التعريف أنّ المكان حدّد بالجسم والمساحة التي يحتويها.

أمّا الجوهري:" فيقسّم المكان إلى نوعين (المكان الخاص والمشترك)

أمّا الأول: فهو الحيز الذي يشغله الجسم بمقداره.

أمّا الثاني: فهو الحيز الذي تشغله جملة أجسام وحينما توجد أجسام يوجد مكان وحينما لا توجد أجسام لا يوجد المكان.

و المكان عند الفلاسفة هو : " ما يحل فيه الشيء أو ما يحويه ذلك الشيء ويميزه ويحده ويفصله عن باقي الاشياء "[2].

وهنا نجد المكان أخذ معنى الجسم الموجود فيه وتميز بمميزاته وخصائصه عن باقي الأشياء الأخرى.كما تعددت نظرية اليونانيين في رأي عبد الرحمن بدوي في موسوعته الفلسفية وذلك بتعدد العلماء فقد نظر إليه**أفلاطون** (**plato**).(467-374ق.م) علىأنّه الحاوي للموجودات المتكاثرة،ومحل التغيير والحركة في العالم المحسوس،عالم الظواهر الحقيقي "[3]. أيأنّ المكان يحوي الأشياء،ولا يستقل عنها،ويقبلها ويتشكل ويتجدد بها ومن خلالها.

ويرى**أرسطو** (**Aristote**)، (384-322ق،م):"أنّ لكلّ جسم مكانا خاصا يشغله"[4]. وبحث أرسطو في المكان بحثا مفصلا في كتاب السماع الطبيعي (Physico) الذي وضع فيه كل

[1]- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، (دط)، (دت)، ج2، ص412 .

[2]- منصور نعمان نجم الدليمي، المكان في النص المسرحي، دار الكندي للنشر والتوزيع، ط1، 1999، ص19.

[3]- محمد علي عبد المعطي، قضايا الفلسفة العامة ومباحثها، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، (ط2)، 1984، ص124.

[4]- علي عبد المعطي، تيارات فلسفية معاصرة، دار المعرفة الجامعية،الاسكندرية، (دط)، 1984، ص290.

اجتهاداته حول المكان،فبيّنأنّه موجود وأنّه يختلف عن الشيء الذي يتحيز فيه،وميزه بجملة من الخصائص وهي[1]:

1- المكان هو الحاوي الأول.

2- المكان ليس جزءا من الشيء.

3- هو مساوي للشيء المحوري.

4- فيه الأعلى والأسفل.

لم يختلف المكان عند الفلاسفة العرب كثيرا،فقدعرفه**الكندي** بأنّه: "السطح الباطن للجسم الحاوي المماس للسطح الظاهر للجسم المحوي"[2]. كما أنّ**الفرابي** يتبع **الكندي**،ويتخذ من تعريف أرسطو تعريفا له.

وقد عرّف **ابن سينا** المكان بأنّه: " السطح الباطن من الجرم الحاوي المماس للسطح الظاهر من الجسم المحوي ويقال مكان للسطح الأسفل الذي يستقر عليه جسم ثقيل و يقال مكان بمعنى ثالث إلّا أنّه غير عمودي،و هو أبعاد مساوية لأبعاد المتمكن،تدخل فيها أبعاد المتمكن و إن كان لايجوز إلّا أن يشغلها جسم كانت أبعادا غير أبعاد الخلاء إلّا أنّ هذا المعنى من اسم المكان غير موجود "[3] ومن خلال هذا التعريف نجد أن المكان يتخذ معنى حسي مرتبط بوجود أشياء محسوسة –ومن فلاسفة القرن السابع عشر يطالعنا رأي **ديكارت** (**Descartes**)، (1596-1650) في المكان الذي يراه الممتد في الأبعاد الثلاثة متأثرابرأي **اقليدس**.ومن هنا نرى أنّ مفهوم المكان قد تباين من فيلسوف

[1]- عبد الرحمن بدوي،موسوعة الفلسفة،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1984،ج2،ص461 .

[2]- المرجع نفسه ،ص462 .

[3]- لعموري عليش،اشكالية المكان والزمان في فلسفة ابن سينا، دراسة تحليلية نقدية، دار هومة للطباعة و النشر،الجزائر، (دط)، 2009، ص171 .

إلى آخر وكذلك من معجم إلى آخر.غير أنّ الملفت للانتباه أنّه أثار آراء الفلاسفة وأغراهم لما له من أهمية كبيرة يتوقف عليها وجود الإنسان على الأرض، إذا لا مكان دون انسان ؟

ولقد فصّل **غاستونباشلار** في مفهوم المكان بأوضاعه المختلفة و رأى أنّ المكان " هو الذي يعيش فيه الناس ليس بشكل موضوعي فقط بل بكلّ ما في الخيال من تحيّز، إنّنا ننجذب نحوه لأنّه يكشف الوجود في حدود تتسم بالحماية "[1].

كما يؤكد **غاستونباشلار** على أنّ المكان في الفن "ليس مكانا هندسيا خاضعا لقياسات وتقسيم مسح الأرض،بل هو مكان عاشه الأديب،وأنّ هذا المكان لا يعيش على شكل صورة فحسب،بل يعيش داخل جهازنا العصبي كمجموعة من ردود الفعل،فلو عدنا إليه حتّى في الظلام سوف نعرف طريقنا إلى داخله".[2]

و يرى **باشلار**أيضا أن المكان :" هو البيت،هو كل شيء، إذ يعجز الزمن عن تسريع الذاكرة،هو مكان الألفة ..."[3].

من هنا نرى أن **غاستونباشلار** قد حددّ المكان على أساس ارتباطه بالإنسان من ناحيتين ناحية مادية،وناحية نفسية،كما أنّه قادنا إلى ارتباط الإنسان بالماديات التي حوله ومن ثم تتولد الألفة التي تعمل على زيادة ارتباطه بالمكان.وفي الأخير نقول على الرغم من الاختلاف في تحديد مفهوم المكان وضبط مصطلح واحد له إلّا أننا نجد أنّ النظريات الحديثة والقديمة اهتمت به كونه يكتسي أهمية بالغة في الإحساس بمرور الزمن،فادراك الإنسان له مباشر و حسي و ما صراعه معه إلّا تأكيد لذاته وتأصيللهويته،فالذات الإنسانية تلقى أهميتها من خلال تفاعلها مع المكان الذي وجدت فيه .

---

[1]- غاستونباشلار،جمالياتالمكان،ترجمة غالب هلسا،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر،بيروت،ط1، 1984، ص31 .

[2]- حميد لحميداني،بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي،بيروت، لبنان،ط3،2000،ص54.

3-غاستون باشلار،جماليات المكان ،ص39.

2 – علاقة ابن حمديس بالمكان :

إنّ المتتبع الحقيقي لعلاقة الإنسان بالمكان يتبين أنّه تكوّن من مكان معلوم، ثمّ ولد في مكان يشكل بداية علاقة حقيقية بالمكان، لترتسم معالم شخصيته تحت مؤثرات مكانية فهو ابن البيئة بأحداثها وتاريخها و همومها ....

يتأثر بالحاضر والماضي حسب قربه أو بعده عنهما .....،فلطالما شكل هذا المكان بؤرة اهتمام الإنسان، و ما ظاهرة الطلل في الشعر الجاهلي إلّا دليل على ذلك، فكان تارة يرتبط بالقبيلة و أخرى بالحبيبة .كما نرى الارتباط الوثيق بالمكان وخصوصا المكان الذي يولد فيه الإنسان ويتربى في أرضه .

و قوام الشعر العربي موقوف على الأطلال و غير هذا يعتبر ناقصا ومبتورا . فالشعراء عانوا من الغربة والترحال، ومن هؤلاء الشعراء نجد شعراء جزيرة صقلية التي كانت تحت وطأة الاستعمار فهاجر منها علمائها و أدباءها.

"وقد نبغ في الجزيرة رجال كثيرون خلدوا صفعات التاريخ نذكر منهم :

المازري و ابن ظفر وابن القطاع وابن حمديس"[1] و يهمنا من هؤلاء شاعرنا ابن حمديس الذي عاش حياته متنقلا من مكان إلى آخر، فبعد أن عاش شبابه في صقلية التي ولد فيها وشبّ- فهي مصدر وحيه واشعاره- رحل إلى افريقية،الّا أنّ وحشتها وحياتها القاسية بالنسبة إليه جعلته لم يطل المقام فيها، وبعد ذلك توجه إلى الأندلس ليطيب به المقام في اشبيلية ويعيش فيها، "واتصل بأمير اشبيلية (المعتمد بن عباد) فمدحه ونال جوائزه وعاش في ظلاله الوافرة إلى أن أعتقل (المعتمد) وذهبوا إلى

[1]– محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، تقديم عبد الجليل مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية – بن عكنون – الجزائر، (دط)، ص149

أغمات بالمغرب الأقصى فتبعه ابن حمديس"[1]وحينئذ اتجه الشاعر إلى المهدية،عاصمة افريقية، ومن ثم دخل الجزائر.

وهكذا نرى أنّ شاعرنا ابن حمديس بقي في جو الحل والترحال، و لم يستقر به المقام في أي بلد. فالغربة كانت قريحته ومُلازمة له. " فهو لم يفقد الوطن والذكرى الحبيبة إلى قلبه، وليس ينقصه اللهو والنعيم فقط، بل هو فقد الاستقراروالأمن، وركبه الهم والخوف، إلى درجة من الاستعداد والتوتر تجعله متأبطا سيفه حتّى في منامه"[2] وعلى الرغم من هذا فقد بقي يغرس الأمل في قلوب الصقليين، و لم يفقد الأمل، وبقي يتأمل ويبعث الأمل عنطريق شعره إلى أن واصلت المأساة طريقها وفقد ابن عباد عزه ونفاه ابن تاشفينإلى المغرب وقيده وسجنه فضاق قلب الشاعر من جديد،وبدأ طريقا آخر في غربته بعد تركه الأندلس. وفي غربته الجديدة تأزمت قريحته وقهره من الزمن وبدأ يفقد أهله و ذويه والأخبار تتأزم معه وضياع ملك ابن عباد، أكمل مأساته .

"ويتحول ضيقه من صروف الزمان وسخطه إلى يأس إذ لم يبق له هذا الزمان شيئا،فقد ضاع منه كل شيء الوطن والأهل والأحباب، حتى الذكريات بدأت تعصبه "[3]. وهنا اجتمعت أحاسيس الحزن في نفسه،فعاش متنقلا بين المدن الافريقية، وأقام بها بقية عمره ولكنّه لم ينس وطنه صقلية رغم أنّه رحل منه في زمن بعيد، فالشاعر لم يتجاوب مع البيئات التي تنقل إليها، وقد يتبادر للذهن في أول الأمر أن الشاعر لم يكن معنيا ومهتما بما حدث في الأندلس أو في افريقية رغم أنّه لم يكن بمعزل عن الحوادث التي عانت منها الأندلس والظروف القاسية في افريقية لأنه لا يحس بشعور غير شعوره بالغربة فيهما، وبقي محايدا في رأيه وتفكيره،وقد علمته السنين أن لا يشارك في النزاعات و هو قد خسر بلده قبلهم وذاق مرارة فراقه .

[1]- المرجع نفسه.ص149.

[2]- عبد الرزاق حسين، الأدب العربي في صقلية، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1434 ه-2013 م، ص332.

[3]- المرجع نفسه، ص338.

" وتراكمت عليه السنون،وفقد بصره في أخريات حياته، ووصف حالته بعد أن أشرف على الثمانين" [1] فقال[2]: (البسيط)

أَنَا فِي الثَمَانِينَ الْتِي فَتَلَتْ بِهَا قَيْدِي الزَمَانَةُ عِنْدَ ذُلِّ قِيَادِي

أَمْشِي دَبِيبًا كَالكَسِير واَتَّقِـــي وَثَبًا عَليّ من الحـــِمَام اَلعَادي

فهنا الشاعر يصف فظاعة ما وصل إليه،وشبّه نفسه بالكسير لأنّه يمشي ويرتطم .

فالشاعر العربي لا يزال جزء لا يتجزأ من مجتمعه،يتأثر بكل ما يحيط به من ظروف و بما ينتابه من أحداث، كما كان للمكان أثر في ذلك، وهذا ما يبرزه لنا شاعرنا الصقلي ابن حمديس : الذي بقي متعلقا بوطنه فنصوصه الشعرية اشتملت على أماكن مختلفة كالأماكن الطبيعية و التاريخية فهي تتخلل متون قصائده وتعبر عن الارتباط الحقيقي و المؤثر.

كما كان للبيئة الصقلية الباهرة أثرها البالغ على حياته، ومشاعره ووجدانه وتعد " تجربة الطلل من أعمق التجارب الشعرية لما لها من دلالة على مشكلة المصير الإنساني، ولما لها من صلة مباشرة لا بوجدان الشاعر وعواطفه فحسب وانما بتلك الآهات الحزينة التي أملاها على الشاعر شعور الجماعة التي ينتمي اليها بالحرمان من أرض الوطن و بالحنين إلى الاستقرار وإلى المقام "[3].

ومحاولة تجسيد انقلاب الحال وإثارة الإحساس بعنف تجربة الحرمان من المكان .

حيث نجده عاصر هجوم الاعداء، وشجع قومه على الصمود وحذّرهم من الاستسلاماللأعداء،كما يبدو في قوله [4]: (الطويل)

---

[1]- فوزي عيسى ،الشعر العربي في صقلية في القرن الخامس الهجري،كلية الآداب –جامعة الاسكندرية ط1، 2007، ص297 .

[2]- ديوان ابن حمديس ، صححه و قدم له الدكتور احسان عباس، دار صادر، بيروت، (دط)،1379ه- 1960م، ص124.

[3]- صالح مفقودة،دروس في الأدب الجاهلي والأموي،شركة عين مليلة، الجزائر،(دط)، 2003،ج1،ص37

[4]- ديوان ابن حمديس، ص416

بَنِي الثَّغْرِ لَسْتُمْ فِي الوَغَى مِن بَنِي أُمِّي اذَا لَمْأَصُلْ بِالعُربِ مِنْكُمْ عَلَى العُجْمِ

فخوفه من استسلام قومه في الحرب كان قويا ومؤثرا، فعلى الرغم من أنه كان بعيدا عنهم إلا أنه كان مشغولا بهم يشاركهم حربهم بشعره وكلماته المؤثرة .

" ويمضي ابن حمديس في حث بني وطنه على الصمود والذود عن بلدهم،ويحذرهم من التفريط فيه أو التخاذل في الدفاع عنه،لأنّهمإن فقدوه فسوف يقاسون التشرد والضياع،ويصبحون أذلاء في البلاد الأخرى ولن يجدوا في وطن آخر عوضا عن وطنهم"[1]. ويقول في هذا[2]:

وَلِلّهأَرْضٌإِنْ عَدِمْتُمْ هَوَائـــــهـــــــا فَأَهْوَاؤُكُمْ فِي الأَرْضِ مَنْثُورَةُالنِّظْمِ

فَإِنّ بِلَادَ النّاسِ لَيْسَتْ بِلَادَكُمولَا جَارُهَا وَالِحلْمُ كَالجَـــارِوَالخلْمِ

أَعَنْأَرْضِكُمْ يُغْنِيكُمْأَرْضُ غَيْرِكُـــــمْوَكم خَالَةٍ جَدَاءَ لَمْ تُغْنِ عَنْأُمِ؟

وبقيت صقلية شمسا لا تغيب عن عيون الشاعر وقلبه،ولم تفارق ذهنه، ولا خياله،كما كان دمج عواطف الحنين وأحاسيس الغربة ومعاناة الشوق نحو الديار ضمن معاني المديح والاستصراخ .

ويظهر الارتباط بالوطن من خلال تغني الشعراء بمراتع الصبا ومنازل أوطانهم و كان شاعرنا ابنحمديس ممن تغنوا وأصروا على الوقوف بتلك الرسوم،كماأنّه يطيل الوقوف و البكاء عليها، ويرى ذلك واجبا فيقول[3] :

وَهُو الحمى سقْيًا لأيّامِ الحِمَى فإنّها ولّتْ ولّما تَرْجـــــــــــــع

مالكَ لا تبكي بكاءً بالأسى بين رسومٍ وبَوالِي أربُـــــــــــــع

[1]- فوزي عيسى،الشعر العربي في صقلية في القرن الخامس الهجري،ص201.

[2]- ديوان ابن حمديس،ص417 .

[3]- المصدر نفسه، ص300

بأدمعٍ بين الجفـــــونِ حُوم وأدْمُعٍ على الحدود وُقّـــــــــــعِ

وليست هي المكانية التي تظهر في هذا السمت المحافظ، بل إنّ الأسلوب يعضد هذا الرأي،وتقوية تلك الألفاظ بعينها التي يرددها الشعراء.فحتى الطلل يصبح مهما في ارتباطهم بالمكان الأوّل .

" وتجلت (بلرم) حاضرة صقلية،ومثلت حركة الهجرة من وإلى صقلية ازدهارا، وظهر أثره قويا في التعبير عن البيئة الصقلية،فعبر عن الحب لهذا الوطن، وعن وصف مرابعه وما عايشه من أحداث و ظروف سياسية و اجتماعية "[1].

وبدأ ذلك يظهر لانتساب ابن حمديس فلا يخاطب قومه إلاّ ببني الثغر حيث يقول "[2]:(الطويل)

وَنَحْنُ بَنُو الثّغْرِ الذِينَ ثُغُورُهُمْإِذَا عَبَسَتْ حَرْبٌ لَهُم تَتَبَسّمُ

فالشاعر هنا نجده متأثرا بقبيلته أكثر من نسبه الحقيقي. لقد توجع الشاعر وحزن، ويقسم أن طيف بلاده بقي يزوره عند مغادرته لها وأثر البعد في نفسه كبير حيث يقول[3]:(الطويل)

وأُقسِمُ مَاهَوّمْتُ إلاّ وَزَارَنـــــــي عَلَى بُعْده الوَادِي الذِي عِنْدَه الآَلُ

بِأرْضٍ نَبَاتُ العِزّ فِيهَا فَوَارِسٌتَصُولُ المَنَايَا فِي الحُرُوب إِذَا صَالُـــــــوا

كما نجد الشوق يشتد ويصبح مناديا بقوله : (الطويل)

أَلَا حَبَذَا تِلْكَ الدِيَارأَوَاهِـــــــلاً وَ يَا حَبَذّا مِنْهَا رُسُومٌ وَأَطْلاَلُ

وَ يَا حَبّذَا مِنْهَا تَنَسُّمُ نَفْـــــحَةٍتُؤَدِّيهِأَسْحَارِإِلَيْنَا وأَصـــــــــالُ[1]

[1]- عبد الرزاق حسين، الأدب العربي في صقلية، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1434ه-2013م ص82.

[2]- ديوان ابن حمديس، ص413 .

[3]- المصدر نفسه، ص358.

فابن حمديس في هذه الأبيات يبين لنا ما تكنّه تلك الديار رغم أنّها أصبحت أطلالا ورسوما.

ونجد الشاعر متأثرا بوطنه الأم الذي ولد فيه،حيث يقول [2]:(المتقارب)

قَضَتْ فِي الصِّبَا النَّفْسُأَوْطَارَهَا وَأبلغها الشَّيْبُإِنذَارَهَـــــــــا

نَعَمْ وَأُجِيلَتْ قِدَاحُ الهـــــوى عَلَيْهَا فَقَسَّمْنَأَعْشَارَهـــــــا

كما أنّه في هذين البيتين نراه مثقلا بالذكريات التي تلحُّ عليه بأوار الغربة والحنين والشاعر عاش حياته الأولى يتنعم بصقلية وخيراتها وكانت اللذة والفرحة لا تتركانه ولكن مرّ عليه طائر الغربة والنوى " فشط به المزار، وابتعد عن منزلة التصابي،فظلت حلاوتها تلح على خاطره بالذكرى وتحولت من واقع حي ملموس إلى ذكرى تطوف بخياله،فتهيج الشوق الدفين "[3]وفي ذلك يقول [4]:

(المتقارب)

ذَكَرْتُ صِقِلِّيَّةً وَالأَســـــَى يُهَيّجُ لِلنَّفْسِ تِذْكَارَهَـــــا

وَمَنْزِلَةً لِلتَصَابِي خَلَـــــت وَكَانَ بَنُوا الظَرْف عُمَّارها

فَإِنْ كُنْتُأُخْرِجْتُ مِن جَنَّةٍ فَإِنِي أُحدِّث أَخْبَارَهَـــــا

ولقد كانت نشأته وتربته بمثابة السداة لشعره، فغربته تكاد تكون اللحمة،فهو شاعر حنين وغربة بامتياز،وهذه الغربة حرّكت شاعريته وأيّام صقلية هي التي كونته وجعلته شاعرا مشهورا،ومنذ

[1]- المصدر نفسه، ص359

[2]- ديوان ابن حمديس، ص 180.

[3]- عبد الرزاق حسين، الأدب العربي في صقلية، ص328.

[4]- ديوان ابن حمديس، ص183.

خروجه من صقلية بلد أبائه وأجداده أحسّبأنّه اقتلع من جذوره فظلّ يصارع الحياة وحيدا كئيبا، دون نصير و لا أنيس إذ يتساءل بحرقة و ألم عن حكم الزمن بما أصابه وما بدّل حياته، فقوله [1]:(الطويل)

بِحُكْمِ زَمَانِيَالَهُ كَيْفَ يَحْكُمُ يُحَرّمُأَوْطَانًا عَلَيْنَا فَتَحْرُمُ

وقد أضفى الشاعر على الطلل،قدرا وفيرا من ذاته عبر التشبيه والاستعارة،والكناية والتصوير والتشخيص، إنّه الطلل الفني الذي يسكن أعماق الشاعر إنّه نصه الذي لا يسأم من حمله ولا يمل من ترديده.فالشاعر وظف هذا في تحذير بني وطنه، كما أنه يحذرهم من الهجرة وترك الوطن، فابن حمديس عانى من هذا طول حياته يقول بحرقة[2]: (الطويل)

تَقَيَدْ مِنَ القطْرِ العَزِيزِ بِمَوطـــــنٍ وَمُتْ عِنْدَ رَبعٍ مِن رُبُوعِكَأَو رَسْمِ

وإِيَّاكَ يَوْمًا أَنْتُجَرِبَ غُرْبَـــــةًفَلَنْ يَسْتَجِيزَ العَقْلُ تَجْرُبَة السُـــــم

فهذه القصيدة تعبّر عن صيحات حارة تعبر عن تحذير قوي من الغربة التي ينتج عنها الموت البطيء فهذا دليل السم،فالسم عندما يخترق الجسم يجعل الإنسان يموت ببطء وكذلك الغربة فالإنسان فيها يموت لأنه بعيد عن وطنه وعليل وطنه وأهله وأحبته .

ومن خلال بحث علاقة الشاعر بالمكان وجدنا أنّ الغربة والحنين للوطن هما محور إلهام الشاعر وأنّ حياته تختلف عن باقي الشعراء الصقليين،فاشتياقه الدائم لبلاده جعلنا نراه أغلب الوقت باكيا متألما على بلاده التي عبثت بها الأهوال وقلّما نجده فرحا ،ومن خلال هذا السياق نرى أن علاقته بالوطن (المكان) الذي يمثل صقلية علاقة شوق ومحبة،فالوطن هو الغاية التي يسعى لأن يحقق مناه وآماله من أجله. و ظلّ يحنّإليه حنين النيب أو على الأقل يحدث بأخبارها أو يرغّب أبناء وطنه بالعودة إليه والتشبث به مهما كانت الظروف.

[1] – المصدر نفسه، ص408 .

[2] – ديوان ابن حمديس،ص417.

الفصل الأول:

أبعاد المكان ورمزيته في شعر ابنحمديس

تمهيد:

المكان جزء لا يتجزأ من حياة الإنسان فهو يشكل حضورا قويا عند الكثير من الناس وخاصة منهم الشعراء،فالمكان عند هؤلاء ليس مجرد أبعاد هندسية فقط و إنّما يستحضره الشاعر ليعبّر به عن أبعاد نفسية و سياسية ووطنية و كذلك تاريخية و دينية .فابن حمديس من هؤلاء الشعراء الذين اعتنوا بالمكان وأبعاده وقام بتصويره تصويرا خياليا فلسفيا برموز نفك شفراتها عن طريق دلالاتها و معانيها.

أولا–أبعاد المكان:

1– البعد النفسي :

تلعب الحالة النفسية التي يعيشها الشاعر دورا مهما في حياته، فهي التي تشكل رؤية للعالم الذي يعيش فيه ويحس به ويترجم ذلك عن طريق شعره. حيث نجده متعلق بالمكان فهو يلتصق بجذوره مرتبط بأعماقه. فالشاعر لا يستطيع العيش خارج المكان الذي ألفه فهو يمثل له الأمن والاستقرار لذا يلتصق به، وإن أحس بعدم الاستقرار فيه نجده ولى خائفا هاربا ويبحث عن مأوى آخر عن طريق ترحاله لأنّه يشعر فيه بالخوف والهلع.

فالشعراء حين يغادرون أوطانهم، تجدهم يحسون بالحزن والألم جرّاء الفراق فمنذ الأزل نجد الإنسان مرتبط بالمكان الأول وكذلك الشاعر يتغنى بوطنه عن طريق البكاء على الأطلال وذكر الأحبة.

فالشعراء يتذكرون أوطانهم ويحنون إليها، ومن هؤلاء الشعراء نجد شاعرنا ابن حمديس الذي ظلّ يبكي على وطنه إلى أن وافاه الأجل. فحين رمته الأقدار وخرج من وطنه صقلية بعد استلاء النورمان عليها ظل قلبه متعلق بها .

فعلاقة ابن حمديس بمسقط رأسه صقلية علاقة متجذرة، وهي علاقة حميمة تقترب من درجة التقديس، كما أن هذه المدينة تتعدى حدود مدينة الطفولة، فرغم رحيله واستقراره في الاندلس،

بقيت هذه المدينة ساكنة في قلبه، و تمثل مرحلة هامة ومميزة في حياته فلم يزدها البعد عنه إلا التحاما بهاو ابداعا في تصويرها. وهذه الأبيات تبين لنا هذا [1]:(الطويل)

آَلَا فِي ضَمَانِ الله دَار بِنَوطَسٍ وَدَرَّتْ عَلَيْهَا مُعْصِرَاتُ الهَوَاضِب

أُمَثِّلُها فِي خَاطِرِي كُلّ سَاعــةٍ وَأَمرِي لَهَا قَطِرَ الدّمُوع السَوَاكِب

أَحِنُ حَنِينَ النِيبِ للمـــــــوطِنِ الذِي مَغَانِيإِلـــهِ جَوَاذِبِيغَوانيه إِلَيـــهِ جَوَاذِبِي

وَمَن سَارَ عَنْ أَرْضٍ ثَوَى قَلْبُهُ بِهَا تَمَنِّى له بِالجِســـــم أو بـــــه آَيبِ

فالشاعر أحس بالحزن والأسى والانكسار ذلك لأنّ المغادرة كانت صعبة عليه وقد يستطيع الاستغناء عن أشياء عديدة،" فقد تكون هذه الأشياء علاقة حب، أو أصواتا كان يأنس بها في ضوء القمر، أو ارتباطا بنخلة نمت على عينيه، أو بنجم، كما كان يتألق في السماء كان يتألق في نفسه. المهم أنه كان يغادر هذه الأشياء مهموما ومحزونا، وكان تحت الضغوط لا يملك إلا الالتفات إليها بشيء من الجلد، ثم بشيء من الحزن حتى تكتمل دائرة الانفصال "[2]. فهنا نرى أن شاعرنا ابن حمديس رأى أنّه انفصل عن داره، وبلغت نزعة الحنين إليها أقساها، فهو يتذكر هذه الدار التي قضى فيها أيام طفولته، حيث قال لنا أنه يمثلها في خاطره كل لحظة ودموعه دائما منسكبة، كما أنه يحيا ليعود إليها وهكذا كانت نزعة حنينه تتأجج، فحبه لوطنه صادق . كما أن الشاعر لم يجد ما يخفف عنه لوعة الفراق، وألام الغربة .

ظل الشاعر يرشف الحنين والشوق إلى وطنه، ونجد الشاعر صالح المكان في بعض المواقف وناصبه العداء في مواقف أخرى وفقا لمشاعره وأحواله، وما يشحنه المكان من عواطف وانفعالات، وتنوعت صورة المكان، وتفرعت تبعا لما تحدثه المشاعر و الأحوال في أغوار الذات العميقة .

[1]- ديوان ابن حمديس، ص33.

[2]- عبده بدوي ،قضايا حول الشعر،قضية الغربة المكانية في الشعر العربي، الكويت،(دط)، 1406ه-1986م ،ص63 .

حيث نجد الشاعر يصور بمواجهته للزمان، فهو يرجع مسؤوليته وما حدث له إلى الزمن ويقول له أنّه شرده فطاف على وجهه هائما في بلاد الغربة حيث يقول [1]: (الطويل)

كَأَنّكَ لَم تَقنَعْ لِنَفسي بِغُربَةٍ إِذَا لَم أُنَقّب فِي بِلادِ المغَارِب

بقي يرتحل من بلد إلى بلد، جرّاء ما حدث لوطنه وما أصابه من دمار .كما أنّ حالته النفسية الحزينة التي سببها الغربة عن الديار والأوطان، فهو قد بيّن لنا أن معاناته باقية رغم ما تتصف به هذه البلاد التي انتقل إليها من جمال، فيقول لأنه أخرج منها خروج المذنب[2]: (الكامل)

طَالَ التَغَرّبُ فِي بِلاَدٍ خُصِصَـــــتْ بِوَخَامَةِ المَرْعَى وَطَرْقِ المَشرب

فَطَوَيْتُ أَحْشَائِي عَلى الأَلَم الذِي لَمْ يَشفه إِلّا وُجُودُ الَمذْهَـــب

إِنّ الخُطُوبَ طَرَقَتنِي فِي جنّـــة أَخرَجَنِي مِنهَا خُرُوجَ المذْنبِ

فهذه الغربة جعلته يعيش ويحس الألم والوحشة، وهو يتذكر أنه في ذنب كبير لأنه ترك وطنه وتغرّب، كما ترك جنته التي فيها عزّه وأهله وخرج كالمذنب، " وإذا كان آدم قد نسي فأكل من الثمرة فإن ابن حمديس نسي الثمرة حين كان في حاجة إلى عنايته ورعايته "[3] وهذا هو ذنب ابن حمديس لم يبق ليدافع عن وطنه وبقي في ظل التغرب .

فعبرات الشاعر أصبحت لا تنقطع، فبلاده تغرب عنها وفقدها إلى الأبد لأنّها سقطت في يد النورمان، فلم يستطع أن يصبر عليها، وفقد الأمل المنشود في انتصارها ورجوعه، حيث يخبرنا يائسا فيقول[4]: (الطويل)

---

[1]- ديوان ابن حمديس ،ص28 .

[2]- المصدر نفسه، ص583.

[3]- احسان عباس، العرب في صقلية، دراسة في التاريخ و الأدب، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط2، 1975، ص256.

[4]- ديوان ابن حمديس، ص 274 .

لَقَدَّرت أَرْضِي أَنْ تَعُودَ لِقَومِهَا فَسَاءتْ ظُنُونِي ثُم أَصْبَحتُ يَائِسَا

وَعزّيْت فِيهَا النَّفسَ لَمّا رَأَيتُهَـــــــــــا تُكَابِدُ دَاءً قاتل السُمّ نَاحِســـــــــا

فهذان البيتين يحملان كل معاني (اليأس، العزاء، ناحسا) الحزن والقهر وفقدان الأمل في رجوع حياته الأولى وأرضه التي كانت تتلألأ بجمالها وخضرتها. كما أنّه يعزّي نفسه لما سيحصل له بعد هذا الحرمان .

ونجد الشاعر خائبا، كما أنه يحس بأن المصير خذله، فالحسرة وخيبة الأمل لا تتركانه، " ونحس بنبضات قلب شاعرنا تزداد خفقانا وأحزانه تنمو وتتكاثر، وتتجسد أمام أعيننا صورة تلك المأساة الأليمة، وما نجم عنها من أثار حزينة "[1]، وفي ذلك يقول ابن حمديس عن الغربة التي بقيت مستمرة طول حياته، فهي لم تعد غربة حول أو حولين ، بل أصبحت غربة لا يستطيع عدّها ، لأنّه كان يعاني من غربة أبدية، فيقول [2]: (الطويل)

إذَا عَدَّ مَنْ غَابَ الشُهُوَر لِغُرْبَةٍ عَدَدتُ لَهَا الأَحْقَابَ فَوْقَ الحَقَائِب

يبدو الشاعر في هذه الأبيات حزينا، فهو يتحسر على نفسه التي أصبحت غريبة تجول بين الأوطان، مغتربة عن الوطن والأهل وهو يعد السنوات فيها.

وتبدو ملامحه النفسية حزينة، فهو يعاني حنينا إلى المفقود وعلى ما يصير عليه حاله بعد هذا العمر، وحينما بلغ الخامسة والخمسين قال[3]: (الكامل)

كَمُلَتْ لِي الخَمْسُونَ وَالخَمْسُ وَوَقَعْتُ فِي مَرَضٍ نكس

وَوُجِدَت بِالأَضْدَادِ فِي جَسَدِي غُصْن يَلِينُ وَقَامَةٌ تَقْسُو

[1]- فوزي عيسى،الشعر العربي في صقلية في القرن الخامس الهجري، ص203.

[2]-ديوان ابن حمديس، ص30.

[3]-المصدر نفسه، ص 282 .

كما أن الغربان نعقت في لحظة ابتعاد الشاعر عن وطنه جراء ما حدث له، واقسمت الأيام على الفراق الأبدي بين الشاعر ووطنه، يقول ابن حمديس واصفا هذه المعاني التي يتحاشى ذكرها أملا في لقاء جديد[1]: (الطويل)

وَقَالَتْ غَرَابِيبُ دَرَجْن بَيْنَهُ سَيَسْتَدَرَج الأعْوَامَ وَهُوَ غَرِيـــــبُ

فَمَا كَان إلّا مَا قَضَى بَالُهَا بِه فَهَل كَان عَنْهَا الغَيْبُ لَيْسَ يَغِيبُ

فالغراب عند أغلبية الناس يدلّ على الشؤم والسواد والحظ السيء ، فصورته بقيت راسخة في ذهن ابن حمديس وظلت طيفا يلازمه طوال غربته.

وهكذا نرى شاعرنا بقي في ظل الغربة، متنقلا من بلد الى بلد، فكانت حينئذ حياته تثير فينا الحزن والأسى .

ومن خلال هذا كله نستخلص مدى معاناة ابن حمديس من الغربة والحنين إلى الوطن ومدى تأثر حالته النفسية والوجدانية بهذا كله ولذا كان شعره مرآة تعكس حياته النفسية .

لقد كان شاعرنا ابن حمديس يتغنى بأيام شبابه التي قضاها في صقلية وكانت ذكريات الماضي تتجاذبه فتملأ عليه نفسه، كما أنّ حبه وشوقه لبلاده كان دائما لايفارقه. وهذا ما خلده في شعره وكان دائم البكاء و التألم و قليلا ما نجده مسرورا. وإن فرح كان فرحه مارا سريعا لأنّ قلبه مجروح متألم، فقد كان شعره المرآة العاكسة لحياته النفسية فخياله وقلبه متعلق بصقلية ومرتبط بها.

فحنين الشاعر إلى الأمكنة ممتزج بحنينه إلى أماكن اللهو وأيام الجواري في الحانات؛ فبلده كان مستقلا يغمره الإستقرار والهدوء وكان يعيش فيه أيام اللهو والمرح حيث نجده يقول[2]: (الكامل)

---

[1]-ديوان ابن حمديس ، ص38-39.

- [2]- المصدر نفسه ، ص553.

بَلَدٌ أَعَارَتْهُ الحَمَامَة طَوْقَهَا وَكَساهُ حُلّة رِيشِه الطَـــاوُوس

وَكَأنّ هَاتيكَ الشَقَائِقَ قَهْوَةٌ وكَأنّ سَاحَاتِ الدِيَارِ كُؤُوسُ

استطاع الشاعر أن يستحضر بلده وهو في قمة الاستقرار و اللهو، فكانت صقلية مترفة متباهية بجمالها، كما كانت مليئة بحانات الخمر التي يعمرها عشاقها من الغلمان والجواري الذين كانوا يتمتعون بلذة العيش، ويعيشون في الأفراح . كما نراه يتحدث عن تردده للحانات وتغزله بالجواري اللاتي يعمرها ويقوم بوصف هذا ويبين لنا افتتانه بها[1]: (المتقارب)

وَتزحَمُنِي كُلّ فَتّانَـــةٍ بِتُفَاحَةٍ غَلّفَتْهـــا بِطِيبِ

وَيُطْلِقُني من عقالِ العِنَـــاقِ صَبَاحٌ ينبّهُ عَيـــنَ الرَّقيـــبِ

وَفِي كَبِدِي جُرْحُ لِحظٍ عَلِيلٍ وَفِي عَضُدِي عَضّ ثَغرٍ شَنِيبِ

إذا فالشاعر يصوّر لنا مدى حبه وتعلقه الشديد بالحانات وأماكن اللهو والسهر، كما أنّ أثر الحرب غيّر من نفسه، وغرس قلبه ببذور الحزن والألم والفجيعة. فوظف لنا "كبده" المكان المجروح، فجرحه النفسي كبير وبالغ، ومن هنا نستخلص الحالة النفسية التي لعبت دورا كبيرا في حياة الشاعر وعلاقته بصقلية وطنه .

2)- البعد السياسي و الوطني:

تتجلى القيمة الجمالية الانتمائية للمكان في الشاعر الذي يمثل الوطن عنده كل معاني الحب والاستقرار، فالشاعر يعيش حياته كلها وهو يضحي من أجل وطنه ضدّ قوى الشر، فالوطن عنده هو ذلك المكان الذي ولد فيه وعاش أيام الاستقرار به، فالوطن هو مصدر إلهام الشاعر.

[1]- ديوان ابن حمديس، ص 12.

وقد تعددت الصيغ والمعاني اللغوية المتعلقة بمعنى الوطن : فهو الدار والبيت والبلد والموطن والأرض. حيث نجد الشاعر ابن حمديس، قد نهض مع أحداث وطنه وبين الانتصارات التي كانت تشهدها صقلية وعبر عن حبه لوطنه ومقاومته مع أبنائه .

كما كان متأثرا بالأحداث السياسية التي جرت على أرضه وكان لإحساسه الشعري دور بارز في هذا برفض ذل الاستعمار وسيطرة النورمان .

فالوطن يرتبط بقيمة الحماية، "فهو البيت الذي ولدنا فيه محفورا بشكل مادي في داخلنا فهو أكثر من مجرد تجسيد للأحلام "[1]،فالبيت عبارة عن حيز هام في حياة الإنسان في استقراره وهو مصدر للراحة والأمن والطمأنينة التي يبحث عنها كل إنسان في استقرار حواسه وهذه الحواس التي تعتبر من إحدى المكونات المشكلة لهذه الشخصية التي تؤثر وتتأثر بالبيت، فشخصية ابن حمديس شخصية عاشقة لوطنها حيث أنّه تأثر بصقلية تأثرا لا حدود له وكان من اللذين صرخوا ونبهوا بالفتنة وما مس هذا الوطن من اضطراب السياسة، وقد حذر بالفتنة التي عصفت بأركان الجزيرة، كما أنّه كان أكثر الناس وعيًا بها لذلك حذر من عواقبها، قائلا[2]: (الطويل)

أَحِينَ تَفَانَى أَهلُهَا طَوْعَ فِتْنـــــــــــــــــةٍ يَضْرّمُ فِيهَا نَـــــــــــــــــــــــــــــارَهُ كـــــــــــلّ حَاطِـــــبِ

وَأَضْحَت بِهَا أَهوَاؤُهُم وَكَأَنَمَـــــــــــــــــــــا مَذَاهِبُهمْ فِيهَا اختِلافُ المَذاهِب

وَلم يَرْحَم الأرْحَامَ مِنهُم أَقَاربٌ تُرَوّي سُيُوفًـــــــــــــا مِن نَجِيع أَقَـــــــــــــــــــــــــــــارِب

[1] – غاستونباشلار، جماليات المكان، تر غالب هلسا، ص 43-44.

[2] – ديوان ابن حمديس، ص 31

فهنا يصوّر الشاعر الأثر الأليم الذي ستتركه الفتنة في نفوس الصقليين، وكذلك الحزن الناجم عنها كما أنّ هذه الفتنة جعلت الصقليين يتفرقون شيعا وأحزابا، فلم تلق إلّا أن الإخوة الصقليين رفعوا السلاح لبعضهم بعدما كانت صقلية بلدة تعيش في سلام، "فإذا أمراء الطوائف يقيمون لهم فيها عروشا وإمارات ويدب بينهم الشقاق ... ويسلل ابن الثمنة حاكم بلرم الخائن إلى روجار و روبارت ابني طنكراد أميري قلورية و انكبرة في جنوبي ايطاليا مستنجدا بهما ضد حاكم مدينة قصريانة وينجده روجار ويتولى على مسيني ثم على بلرم "[1]، ومن هنا يبدأ الإنذار بضياع الجزيرة واحتلالها .

ومن هنا بدأت مشكلة شاعرنا ابن حمديس وهو يشهد ضياع وطنه، بعد أن كان يعيش الحياة المترفة، وقد سقطت " بلرم في يد روجاروالنورمان، وبدا في الافق انهم يتأهبون للاستلاء على سرقوسة وغيرها من بلاد الجزيرة، وأخذ يعد نفسه. مثل أقرانه للقائهم برا وبحرا "[2].ومن خلال هذا نرى أن الروم (النورمان) قد غلبوا صقلية، فضاعت وضاع أمل شاعرنا وأطلق العنان والحزن على قوم لم يقدروا قيمة وطنهم وأضاعوه ومن القصائد التي تقول هذا [3]:(الطويل)

لِأَمرٍ طَوِيلٍ الهَمِّ نُزْجِي العَرَامِسَا وتَطْوِي بِنَا أَخْفَافُهُنِّ البَسَـــــــــــــــابِسَا

كما أنّ شاعرنا ابن حمديس بقي متأملا رغم رحيله من وطنه، وتركه أهله أخبارهم وأمل انتصاراتهم فهو يسمع " أخبار مسقط رأسه سرقوسة ومقاومته العنيفة للنورمان بقيادة بطلها ابن عباد فيهتز طربا ويكبر عنده الأمل في طرد النورمان من صقلية ويرسل إلى قومه يحضهم على جهاد العدو الغاشم ويحثهم على منازلة العدو " – " كما أنه يذكر في ديار الغربة أسود العرين، أبطال

[1]–شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والامارات طيبا، تونس، صقلية، دار المعارف، القاهرة، (دط)، (دت)، ص 398.

[2]– المرجع نفسه، ص 400.

[3]– ديوان ابن حمديس، ص 274 .

صقلية الذين لم يتركوا السيف حتى فارقهم النفس الأخير، فإن كانوا فيما بينهم ذبابا فقد كانوا اتجاه الأعداء

أسودا "[1]، فيقول من قصيد طويل[2]:

وَ يَا رَبِّ نَبْتٍ تَعْتَرِيهِ مَرَارَةٌ وَقَد كَانَ يُسقَى عَذبَ مَاء السَحَائِب

عَلِمْتُ بِتَجْرِيبِي أُمُورًا جَهِلتُهَا وَقَدْ تُجْهل الأَشْيَاء قَبل التَجَـــارب[3]

ففي هذين البيتين نرى مدى مرارة الشاعر من فقدانه لأسوده، وأبطال صقلية الذين ماتوا في الحرب، ويبين أنه قد جهل أمور لم يجربها مثل عدم دفاعه عن وطنه وبقائه متصديا للأعداء .

ووفق هذه الرؤية العميقة نجد أن الشاعر تأثر بالأحداث السياسية التي جرت على جزيرته، وعبر عن هذه الفجيعة بصدق. فكان لشعره دور بارز في مشاركته لوطنه، فقد رفض النورمان، وأصبح يتبارز حتى مع الزمن عن طريق شعره قائلا [4]: (الطويل)

تَدَرَّعْتُ صَبرِي جُنَّةً للنَوائِبِ فَإِنْ لَمْ تُسَالِمْ يَا زَمَـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــان فَحَارِبِ

" ففي هذه القصيدة يخلق ابن حمديس الفارس الذي فقد قرنه شخوصا كثيرة ليبارزها ويصب عليها نقمة يعجز أن يوجهها الى عدالة السماء أو إلى القدر، فهو يطالعنا بالتحدي أو يطالع به الزمان الذي أودع عنده ثأرا لا يموت، ليقبل الزمن محاربا إن لم يشأ السلم، فقد عجم من ابن حمديس

[1]- أحمد توفيق المدني،المسلمون في جزيرة صقلية و جنوب إيطاليا المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،ط2،1985، ص217.

[2]-ديوان ابن حمديس .ص15.

[3]- ديوان ابن حمديس، ص29.

[4]- المصدر نفسه، ص28.

حصاة لا تلين لعاجم وهذه الفكرة الحربية تستوي على نفسه" [1]. ومن هنا نرى أن الشاعر أصبح يتخيل نفسه محاربا ضد أعداءه، فهنا نلمس أن شاعرنا ابن حمديس مزج خياله بقلبه الذي تسيطر عليه بلاده التي تركها في يد أعدائه فهو يصور مأساته، عن طريق تغييره الفني الجميل .

فنجد شاعرنا متعلق ببلرم، بقصريانة، بنوطس وحزين على سقوطهم في يد العدو رغم أن وطنه متمثل في سرقوسة فهي مسقط رأسه، فهو مهتم بوطنه الأكبر والأم جزيرة صقلية، فالجزيرة عاشت جملة من الحروب والفتن فقد أصبح أهلها خائفين قلقين متمنين الأمن والاستقرار، فليس غريبا علينا أن نجد شاعرنا ابن حمديس، يقول[2]: (البسيط)

إِنِي لَأَرجُو السِلْمَ مِنْ زَمَنٍ قَامَتْ عَلَى سَاقٍ لَـــــــــــــــــــــــــــــــهُ حَرْبُ

ونجد وطنية الشاعر تحضر بقوة وبشدة، فهو ليس حزين على سرقوسة فقط بل هو حزين على كل جزء من صقلية بكل ما تحتويه من مدنها وحصونها فشعوره بالوطنية " شعور حميم لا مجرد صور باهتة فقد ظلّ بذاته وقلبه وشعره يهفو إلى وطنه حنين الطفل الرضيع لأمه، ظل حبه لوطنه يلازمه في كل حال كان عليها .. وظل الحنين يداعبه، والشوق يلعب خياله، فيمزج الوطن بالطبيعة "[3]. فالشاعر دائم الحنين لأرضه صقلية التي عاش فيها أجمل أيام الشباب و لم يجد بديلا عنها عند سفره . ونراه يصف شجاعة قومه في المعارك ويصف الثغور التي يقف فيها الجنود فالجنود أبطال المعارك يحاربون الروم بكل أسلحة لديهم فهؤلاء الجنود أشداء ويصف أسنتهم وخوف الروم منهم والموت المحتوم، قائلا [4] : (الطويل)

جَعَلْتُ نُيُوبَ الّثغْرِ زُرْقَ أَسِنَّةٍ فَلَمْ تَجنِ زُرقُ الرُومِ مِنْهُ رِضَابَا

[1]- احسان عباس، العرب في صقلية، ص246.

[2]- ديوان ابن حمديس، ص 8.

[3]- عبد الرزاق حسين، الأدب العربي في صقلية، ص379.

[4]-المصدر نفسه، ص 57.

ومن هنا نستنتج أن " الوطن فكرة غافية، لا يوقظها سوى الشعراء بالتحنان والغناء وإذا كان الإنسان يرتبط شعوريا بالمكان الذي ينبت فيه، وتمتد فيه جذوره فإن توسيع دائرته ليشمل رقعة عريضة تتمثل فيها خواصه الطبيعية والبشرية وتعمق وعيه الفطري به، يعد نموذجا لصياغة المثال والتعلق به وهي صناعة شعرية في صميمها حيث يوسع الإنسان عند ممارستها، أن يرى ذاته ونشيد أحلامه، ويشكل انتماءه للعالم الصغير، وهو لا يفعل كل ذلك إلا إذا تلبس بحالة شعرية كأن يصبوا إلى مراجع لهوه وطفولته، ، أو يتوجع بتذكر ماضيه ومعالمه ... وفي كل ذلك ينشدون توطيد صورة مثالية للوطن بالتوافق معه أو الخلاف فيه، وهي التي تحفر قسماته في ذاكرة الأجيال "[1].

وهكذا نستخلص مدى تأثر الشاعر بوطنه وما يعانيه فهو التيمة التي تميزه عن باقي الشعوب بانتصاراته وانكساراته وهمومه، على الرغم من ترك الشاعر وطنه إلا أنّه بقي يؤازره عن طريق شعره .

3- البعد التاريخي و الديني:

يرتبط التاريخ بالدين ارتباطا وثيقا متجذّرا، والعودة إلى التاريخ لازمة فالشاعر نجده دائما يرجع إلى قراءة تاريخ أمته لكي يفخر به ويتباهى كما أننا نجده يعيد قراءة تاريخه وفق موقفه من أمته وشعبه ومع ما يمتلكه من مشاعر وأحاسيس يصورّها لنا في ألفاظه العذبة وأحاسيسه الصادقة .

" والشاعر في أي زمان ومكان بحاجة ماسة إلى قليل من التاريخ، وهذه الحاجة تزداد كلما تضاعفت أزمة الهوية لدى المجتمع، وتعمق الإحساس بضياع الوطن وبقدر ما يحس الشعراء بالاقتلاع من ذواتهم، والغربة في أرضهم، يتعزز ارتباطهم بالشخصية ويتكاثف جهدهم في بناء مدن متخيلة باللغة، أو تصوير أوطان حلمية من خلال التاريخ "[2].

---

[1]- صلاح فضل، تحولات الشعرية العربية، دار الآداب ،لبنان، ط1، 2002، ص55.

[2]- محمد الصالح خرفي، جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم ، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005-2006، ص 151.

وشاعرنا "ابن حمدس" من الشعراء الذين أحسّوا بفقد وطنهم وأضاعوه، فهو عاش قهر الغربة وآلامها وعانى أحزان وطنه وهو الذي كان بطلا صنديدا مؤيدا لأهله، مدافعا عن وطنه فهو إلى جانب ذلك "ابن ذلك الحصن المنيع سرقوسة، الذي ظل يدافع عن الوجود الاسلامي بإصرار وعناد، فإذا ما خفت حدة الحملات صار المدافعون مهاجمين يغزون في سبيل الله أراضي العدو في جنوب ايطاليا، وربما كان ابن حمديس معهم غازيا ومدافعا، ولا غرابة في ذلك فهو شاب تنبض عروقه بحب هذا الوطن والشباب هم عماد الحرب ووقود المعركة، ويظهر ذلك في شعره، فيخبرنا عن ذكريات بعض تلك الغزوات مشيرا إلى نفسه وقومه "ببني الثغر" وهذه التسمية تدلنا على فهم ابن حمديس لوظيفة وطنه وموقعه وأهميته ومكانته في الإسلام، إذ الثغر يعني الموقع المتقدم المواجهة للعدو "[1] وفي ذلك يقول[2]:(الطويل)

صَبَبْنَا عَلَيهِمْ ضَرْبَنا مِــــــــــــــن صَوارِمٍ فَغَاصَتِ بِهَا مِن أَسْرِهَا القلبَ أَنفُسَ

وَنَحنُ بِنِي الثَــــــــغرِ الذِينَ نُفُوسُهُـــــــــــــمْ ذُكُورٌ بِأَبْكَار اَلْمَنَايَـــــــــــــــا تُعَرّس

فَمِنْ عَزْمِنَا هندِيَّةُ الضّرْبِ تُنْتَضَى وَمن زَنْدنا نَارِيّةُ البَأس تُقْبَــــــــــــس

---

[1]- عبد الرزاق حسين، الأدب العربي في صقلية ، ص329 .

[2]- ديوان ابن حمديس، ص279 .

نرى الشاعر في هذه الأبيات يفتخر بنفسه وقومه، فهم يتمتعون بالشجاعة والبسالة، كما أنّهم قوم يتميزون بالعزيمة والاتحاد، فعبارة ومن زندنا نارية البأس تقبس نفهم مدى عنادهم وتحديهم الصعاب ومواجهة العدو .

ومن هنا نرى تداخل الدين مع التاريخ وارتباطهما. لأنّ الدين يمثل العقيدة والقوة لدى المجتمعات . فكل مكان يحمل دلالات تاريخية ودينية ، " والمكان التاريخي مرتبط بالزمن لأنّ لهذا الأخير الدور الكبير في تشكيله، فكل تجربة شعرية تتكئ على المكان، تستلهم الزمن، وتتشكل عبره، تسايره وتحاول تجاوزه في الآن ذاته، ولأنّ الزمن مرتبط بالمكان، فهو يشكل المحور الأساسي في تناول المكان واستقراء تاريخه "[1] .

فشاعرنا ابن حمديس " قد أفاض في وصف شجاعة الجنود المسلمين وثباتهم في الجهاد وكثيرا كان ما يقارن بينهم وبين أعدائهم، فهم يضحون بأرواحهم في سبيل آداء فريضة الجهاد ويبذلون أرواحهم رخيصة في حومة الوغى حتى إذا ماتوا ماتوا أعزاء بل إنهم ليحشون وسائد من عجاجات الجهاد وتوضع تحت مناكبهم عندما يدفنون في التراب أما أعداؤهم فقد كانوا جبناء لاهم إلا النكبات على الملذات والارتماء في أحضان النساء الكواعب "[2] حيث يقول شاعرنا [3]: (الطويل)

إِذَا مَا غَزَوْا فِي الرُومِ كَـــــــــــــــانَ دُخُولُهُـــــــــــــــــــــــــــــمْ
بُطُونَ الخَلَايَا فِي مُتُونِ السِّلاَهـــــــــــــــــــب

يَمُوتُونَ مَوْتَ العِزّ فِي حَوْمَـــــــــــــــةِ الوَغَـــــــــــــــــــــــــــى إِذَا مَاتَ
أَهْلُ الجبْنِ بَيْنَ الكَوَاعِب

[1]- محمد الصالح خرفي، جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر، ص151 .
[2]- فوزي عيسى، الشعر العربي في صقلية في القرن الخامس الهجري، ص137.
[3]- ديوان ابن حمديس، ص32.

حَشُوا مِن عجاجَاتِ الجِهَادِ وَسَائِـــــداً تُعَدُّ لَهُمْ فِي الدِّفن تَحْتَ المَنَاكِـــــــــــــــــب

فالتضحية سمة موجودة في الإسلام، يتميّز بها المسلمون لأنّ الجهاد محبوب عند الله ويمثل قمة الشرف والتقوى، فالصقليون يتميزون بهذا فهم ضحّوا بأنفسهم من أجل وطنهم ودينهم وأرضهم فوقوفهم وتصديهم للروم دليل على ذلك .

فشاعرنا ابن حمديس أصبح يعيش في استذكار ما مرّ به، ويقارن كيف كان قومه وكيف أصبحوا، وعلى الرغم من جهاد أهله ضدّ الروم إلّا أنّ الأعداء ظفروا بهم وبقي هو يتحدث عن بطولاتهم وبسالتهم، حيث نجده يقول[1]: (الطويل)

فَغَارُوا أُفُولَ الشهبِ فِي حُفَرِ البَلَى وَأَبْقَوْا عَلَى الدنْيَا سَوَادَ الغَيَاهِب

" فقد أبلوا بلاء عظيما في حروب الروم قديما بقلورية وحديثا بصقلية وما منهم إلا مَن يقدم لنفسه فداء لوطنه، وما منهم إلا من واقع الروم مرارا وتكرارا حتى اجتمعت له وسادة من غبار وقائعه أعدّت له ليتوسدها في قبره، ومازالت بهم البطولة المتناهية حتى أفلوا – أفول النجوم- في حفر البلى مخلفين وراءهم على آفاق الدنيا سواد حزن وثكل لا يشبهه سواد "[2].

ومنه نستنتج مدى قوة الصقليين وتصديهم للأعداء فقد حاربوهم بكل قوتهم إلّا أنّهم انتصروا عليهم ." وتسقط في أيدي النورمانسرقوسة مسقط رأسه سنة 482ه وتسقط بعدها قصريانة سنة 484ه ويتلاشى من نفسه ونفس كل صقلي الأمل في استرداد صقلية وينظم قصيدة جنائزية يودعها بها "[3] قائلا [4]: (الطويل)

[1]- المصدر نفسه، ص33.

[2]- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والامارات، ليبيا، تونس، صقلية)، ص405.

[3]- المرجع السابق، ص401.

[4]- ديوان ابن حمديس، ص274.

أُعَاذِلُ دَعنِي أُطْلقُ العِبـــــــــــــــــــــــرةَ التـــــــيِ عَدِمتُ لَهَا مِنْ أَجْمَل الصْبرِ حَابِسا

فَإِنِي امْرُؤا آوِي إِلَى الشِّجَنِ الذِي وَجَدْتُ لَهُ فِي حَبَّةِ القَلْبِ نَاحِسَـــــــــــا

لَقدِّرْتُ أَرْضِي أَنْ تَعُودَ لِقَوْمِهَـــــــــــــــــا فَسَاءَتْ ظُنُونِي ثُمَّ أَصْبَحْتُ يَائِسَا

وَعزَّيْتُ فِيهَا النَّفْسَ لَـــــــــمَّا رَأَيْتُهـــا تكابِدُ دَاءً قَاتل السُمِ نَاحِسَـــا

وَكَيْفَ وَقَدْ سِيمَت هَوَانًا وصَيّـــــــــــــــــــــَرَتْ مَسَاجِدُها أَبْدِي النَصَارَى كَنَائِسَا

إِذَا شَاءَت الرُهْبَانُ بِالضَرْبِ أَنْطَقَتْ مَعَ الصُبْحِ والإِمْسَاءِ فِيهَا النَوَاقِسَا

يقول الشاعر هنا إنه يذرف الدموع فهذه الدموع لن تعد حابسة، فقد ظل ينتظر بفارغ الصبر انتصار وطنه إلاّ أن أمله خاب فقد أصبح بلده للنورمان فشاعرنا حزين، نحس أنّ قلبه مات بفقدانه لوطنه، فهذه الصدمة أثّرت عليه وقد عزّ نفسه على وطنه وأهله. العزاء الأخير وعلى الرغم من أنّه كان متفائلا بعودة صقلية إلى أهلها .

ومن خلال هذا نرى ارتباط الشاعر بالأمكنة المقدسة وفي هذا علاقة روحية يحس بها

الشاعر،" فبلده صقلية في العهد الإسلامي استحالت إلى جنة فيحاء من جنات المسلمين بمدنها وحصونها التي تعد بالعشرات "[1]. ومن هنا نرى مدى تعلق الصقليين بالدين الإسلامي فهو يمثل لديهم روح العقيدة والدين، ومن هنا نستطيع فهم الروح الدينية التي حملتها هذه القصيدة"، إذ لم نلمسها إلا في كلمة الجهاد المبهمة، أمّا المسجد فقد احتل مكانته من نفس الشاعر والغيظ على تلك

[1]- شوقي ضيف، تاريخ الادب العربي(عصر الدول والامارات ليبيا، تونس، صقلية)، ص398 .

النواقيس التي كانت يدقها الرهبان دق في صدره، كان ابن حمديس يحب الوطن سواء اقترن بشعور ديني خاص أو لم يقترن "[1].

ومن هنا نرى أن الشاعر عمل على مقارنة المسجد بآذانه بتلك الكنائس ونواقيسها وما يتميز به الآذان في قلبه على تلك النواقيس التي يقرعها الرهبان والضجيج المتجلي منها، فشاعرنا من الشعراء الذين ولعو بوطنهم بكل ما تميز به من دين وعادات، كما أنّه يتميّز بأسرة مشتهرة بنسكها وتقواها وولعها بالإسلام أبا عن جد، فمن خلال هذا نرى الأثر الذي أحسّ به وجعل منه يتأثر بهذه التغيرات، وهذا التغيير جعله يحس بالهوان، " وأي هوان أعظم على نفس المسلم من أن يرى بلده يسقط في حجر النصارى ويحيلوا مساجدها كنائسا ويضرب الرهبان فيها النواقيس صباح مساء، لقد سام الروم صقلية الإسلامية ذلة ما تماثلها ذلة، صقلية التي كانت تعتز بمسلميها عزة لا تدانيها عزة، وكان النورمان في جنوبي إيطاليا إذا سمعوا اسمها ارتعدت فرائسهم خوفا ورعبا، فإذا الأمر ينعكس ويصبحون هم مصدر الخوف لأهل صقلية الاسلامية "[2].

ومن خلال ما سبق نرى ما تحمله هذه القصيدة في نفس ابن حمديس من أثر بالغ جرّاء ما حصل لبلاد الإسلام والمسلمين من وجع وذل وهوان، وما خسروه جراء فقدانهم دينهم.

بقيت أحزان الشاعر تنمو وتتكاثر في قلبه وتتجسد أمام أعيننا صورة تلك المأساة الأليمة، وما نجم عنها من آثار حزينة في نفوس الصقليين فقد أصبح الخوف يستبدهم و امتلأت قلوبهم رعبا وفزعا، وأصبحوا أذلاء بعد أن كانوا أعزة، وفي ذلك يقول ابن حمديس[3]: (الطويل)

صِقلّيةٌ كَادَ الزَمـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــانُ

بِلاَدَهـــا

[1]- احسان عباس، العرب في صقلية، دراسة في التاريخ والادب، ص243.

[2]- شوقي ضيف، المرجع نفسه، ص402.

[3]- ديوان ابن حمديس، ص275.

وَكَانَتْ أَهْلِ الزَّمـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــانِ
محارِســـا

فَكَمْ أَعينٍ بِالخَوفِ أَمْستْ سَوَاهِرًا وَكَانَت بِطِيبِ الأَمْنِ مِنْهُم نَوَاعِسَا

وَكَانَتْ بِلَادُ الكُفرِ تَلْبَسُ خَوْفَـــــــــــــــــــــــــــــــــــــهُ فَأَضْحَى لِذَاكَ الخَوفِ مِنْهُنَّ لَابِسَا

فهذه الأبيات تحمل في طياتها صقلية بين الأمس الزاهر وصقلية التي ضاعت وأصبح شعبها يفتقد للأمن والاستقرار والطمأنينة، وبلاد الكفر سبب خوفهم وحزنهم وقلقهم الدائم، فقد ظفر بها الأعداء وهي التي كانت تحرس أهلها .

" ويعود ابن حمديس بذاكرته إلى الوراء قليلا ويتمنى لو أن عقارب الزمن تتوقف لكي يرى الناس صقلية الظافرة أيّام عزها وسلطانها، حين كان الأعداء يصبحون أقزاما ضئيلة أمام أبنائها الأسود الجبابرة الذين فتحو الحصون وغزوا (قلورية). وهددوا الروم في عقد دارهم "[1] وفي ذلك يقول[2]: (الطويل)

عَدِمْتُ أُسُـــودًا مِنْهُم
عَرَبِيـــةً تَرَى بَيْنَ أَيْدِيهَا
العُلُوجَ فَرَائِسَـــا

فَلَم تَرَى عَيْنِي مِثْلَهُـــمْ فِي كَتِيبةٍ
مضَارِبَ أَبْطَالِ الحُروبِ مَدَاعِسا

[1] – فوزي عيسى، الشعر العربي في صقلية، ص203.
[2] – ديوان ابن حمديس، ص275.

أَمَـــــــــــا مُلِئَتْ غَزْوًا (قَلُورِيّةٌ) بِهِـــــــــــــــمْ
وَأَرْدُوا بَطَارِيقًا بها و أَشَاوِسَـــــــــــــــا

هُمُ فَتَحُوا أَغْلَاقَـــــــــــــهَا بِسُيُوفِهِـــــــــــــمْ
وَهُمْ تَرَكُوا الأَنْوَار فِيهَا حَنَادِسَــــــــــا

وَسَاقُوا بِأَيْدِي السبي بِيضًا حَوَاسِرًا تَخَالُ عَلَيهِنّ الشُعُورَ
بَرَانِسَـــــــــــــــــــا

في هذه الأبيات يسترجع الشاعر أيام عز أبطال صقلية، وكيف كانوا يضربون الحروب وينفي أنه رأى مثلهم في جهادهم ، وكيف كانوا يغزون أبطال الروم وقوادها ويذلوهم فهم من فتحوا أغلاقها وهم من أشعلوا النور وبثوا الحياة في قلورية من قبل.

"ولكنّ الزمن لا يعودإلى الوراء، ودوام الحال من المحال، فها هي الظروف تتبدل والزمن يقلب للصقليين ظهر المجن وها هي صقلية تتهاوى، مدينة في أثر مدينة وهاهم الأعداء يحتلون قصريانة ويغيرون معالمها الإسلامية، وها هي بلدته سرقوسة تستباح بعد أن غاب أهلها تحت ثراها، ولو أنهم كانوا على قيد الحياة لما تركوهم يطؤون بأقدامهم فيها ولكن هكذا الحياة ؟ فحين يغيب الأسد عن الغيل يتبختر الذئب في أرجائه كيف شاء"[1] : (الطويل)

أَفِي قَصْرِينِّ رُقْعَـــــةٌ يَعْمُرُونَهَـــــــــــــــا
وَرَسْمٌ من الإِسْلَامِ أَصْبَحَ دَارِسَـــــــــــــــا

وَمِنْ عَجَبٍ أَنّ الشَيَاطِينَ صَيِّرَتْ بُرُوجَ النجُومِ الْمحْرَقَـــــــــــاتِ
مَجَالِسَـــــــــــا

1- فوزي عيسى، الشعر العربي في صقلية، ص204.

وَأَضْحَتْ لَهُم سَرْقُوسَة دَارَ مِنْعَـــــةٍ يَزُورُونَ بِالدِيرَيْن فِيهَا

النَـــــــــــــــــــــــــوَاوِسَـــــــــــــــــــــــــــا

مَشَوْا فِي بِلاَدٍ أَهْلُهَا تَحْتَ أَرْضِهَـــــا وَمَا مَارَسُوا مِنهُمْ أَبِيًا

مُمَـــــــــــــــــــــــــــــــــارِسَــــــــــــــــــــــــــــــــا

وَلَوْ شُقِّقَتْ تِلْكَ القُبُور لأنْهَضَتْ إِلَيهم مِنَ الأَجْدَاثِ أُسْدًا عَوَابِـــــــــــــــــسَا

وَلَكِنْ رَأَيْتُ الغِيل إِنْ غَابَ لَيْثُـــــــــــــهُ تَبَخْتَرَ فِي أَرْجَائِهِ الذِئْبُ مَائِـــــــــــسَا

[1]

فهذه الأبيات شاهدة على مرارة الوضع الذي أصبحت عليه صقلية، إذ تهاوت بلدة بلدة، وأصبح الإسلام يتهاون به، كما أن الشاعر حزين على دينه الذي أصبح يستهان به، فقد أصبحت قصريني رقعة يعمرها الشياطين، فهذه اللفظة تدلّ على الأعداء وأضحت بلده سرقوسة بلاد كفر ومسيحية حيث تجردت من الإسلام وعبارة "يزورون بالديرين " خير دليل على شيوع المسيحية فيها فقد صير الأعداء مساجدها كنائس وأديرة وأصبحوا يزورونها وهناك إشارة إلى الشهداء الذين دافعوا عن هذه الارض.

وهنا نجد شاعرنا من الشعراء الذين لا يتحدثون عن الدين بكثرة، وكان يهتم بالوطن ويذكر فهو يعتبره دينه ودنياه التي فقدها. وفي هذه القصيدة فإن " الدين لا يذكر إلا سمة من سمات التغير التي جرت على الوطن وأهله وحسبك أن لا تلمح في ذكر الدين هذا استنفارا أو طلبا للنجدة فكل ما هناك صورة من تغير حال الوطن بعدما فقد حماته الأبطال"[2].

ومن هنا نرى ما مدى حب الشاعر لوطنه وإثرائه على أبطال صقلية الشجعان الذين كانوا أبطالا وأسودا ولو خرجوا من قبرهم لولوا أسودا غاضبة على ما حدث .

1- ديوان ابن حمديس، ص276

2- احسان عباس، العرب في صقلية –دراسة التاريخ والادب – ، ص243.

كما أنّ هذه الأبيات تحمل معاني حزن ابن حمديس على الإسلام والمسلمين، " ولذلك ذهب ابن حمديس يثني على بطولاتهم ويشيد بانتصاراتهم في قلورية ويعرّج على قصريانة فيبكي دروس الاسلام منها، ويتذكر سرقوسة وكيف أصبحت دار منعة لأعدائها، ولا عجب فقد أصبح أهلها الأبطال تحت الثرى، و لم يكن للأعداء حيلة فيها وهم فوقة، والذئب يتبختر في الغيل حين يغيب الأسد " [1].

وهكذا نرى كيف سقطت الجزيرة وكيف أصبح الذئب يتبختر جراء مكر وخداع الأعداء الذين شبههم الشاعر بالذئب المخادع الذي يخاف الأسد وحين يختفي الأسد تجده يتبختر في مكانه يمكر بأهله. فالدين يلعب دورا مهما في تغيير المجتمع، فشاعرنا يطلق على وطنه الجنة المفقودة وهذا دليل على المكانة الدينية والبعد الذي يتميز به هذا الوطن في نفسه.

" وحسبك أن لا تلمح في ذكر الدين هذا استنفارا أو طلبا للنجدة "[2] وهذه العبارة تبين لنا مدى تعلق شاعرنا ابن حمديس بوطنه ومساندته له، فقد أطلق العنان والآهات من أجله.

ويذكر الشاعر " إخوان الصفاء وليالي الأنس بصقلية، وكان يتمنى لو استطاع الرجوع، غير أنها أصبحت مسترقة للأعداء :"[3] (الطويل)

وَلَـــــــــــوْ أَنّ أَرْضِي حُرّةٌ لَأَتَيْتُهـــــــــــــــــــــــــا
بِعَزْمٍ يَـــــــــــــــــــــعُدّ السَيْـــــــــــــــــــــــــــــــــــــرَ
ضَرْبَـــــــــــــــــــــــةلَازِبِ

وَلَكنَّ أَرْضِي كَيْفَ لِي بِفُكَاكِهَا مِنَ الأَسْرِ فِي أَيْدِي العُلُوجِ الغَوَاصِبِ[4]

---

[1]- احسان عباس، العرب في صقلية – دراسة في التاريخ والادب- ص243.

[2]- المرجع نفسه.

[3]- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والامارات ليبيا، تونس، صقلية)، ص403.

[4]- ديوان ابن حمديس، ص31.

ومن هنا نلاحظ أنّ الشاعر لم يستطع العودة إلى وطنه وهو مغتصب في يد أعدائه، وذلك لأنه ألقه حرا، يعمه الهدوء والاستقرار وأنه لا يستطيع فكه من أيدي الأعداء الغواصب وهنا إشارة إلى ضياع صقلية إلى الأبد.

ومن هنا نستخلص مدى ارتباط التاريخ بالدين، فهما مكملان لبعضهما وأن تاريخ الأمة يندرج فيها دينها وعقيدتها. ونلاحظ في الأخير أن البعد النفسي قد تفوق على الأبعاد الأخرى لأنّ شاعرنا ابن حمديس كان يعاني من غربة نفسية رهيبة جرّاء ما حدث له في حياته فهو لم يهنأ في أي بلد رحل إليه رغم أن البلدان تتميز بالروعة والجمال. وهذه الغربة جعلته يعاني من الألم والقهر النفسي وعلى الرغم من هذا فهناك تقاطعات بين هذه الأبعاد مع احتفاظ كل بعد بخصوصيته.

ثانيا- رمزية المكان في شعر ابن حمديس:

تمهيد:

أخذ المكان في شعر ابن حمديس رموز متعددة منها رموز ترتبط بالطبيعية مثل: رمز الصحراء ،رمز البحر،كما وظف رموز أخرى كرمز القبر مبينا معاني هذه الرموز و دلالاتها في شعره.

ا) رمز الصحراء:

تعدّ الصحراء بيئة حاضرة في الشعر العربي عموما، وهذا ما نلمسه في الشعر المغاربي الذي يتميز به شاعرنا ابن حمديس الذي تأثر بهذه الصحراء وعايشها وتحدّث عن ظواهرها الطبيعية ومعانته فيها.فالصحراء عند ابن حمديس تحمل دلالات الضياع والتيه فهو ذهب إليها مرغما. والنصوص التي وصف فيها الصحراء كثيرة منها قوله[1]: (الطويل)

[1]- المصدر نفسه، ص 28-29.

بِلاَدٌ جَـــــــــــرَى فَـــــــــــــــــــــــــــــوْقَ البُلاَدَة مَـــــــاؤُهَـــــــــــــــــا فَأَصْبَحَ مِنْه نَاهِلاً كُلُّ شَـــــــــــــــــــــــــــــــارِب

فُطِـــــمتُ بِهَا عَنْ كُـــــــلّ كَـــــــــــــــــــــــــــــــــــــأْسٍ وَلَـــــــــذّةٍ وَأَنْفَقْتُ كَنْزَ العُمْرِ فِي غَيْرِ وَاجِبِ

يَبِيتُ رِئَاسُ الغَضْبِ فِي ثِنْيِي سَاعِدِي مُعَاوَضَةً مِن جِيد غَيْدَاءَ كَاعِـــــــــــــبِ

وقد أدرك الشعراء جماليات الصحراء، " فقد أمدهم رحلاتهم وأسفارهم، بتجارب عميقة في استشراف الصحراء، واستجلاء جمالياتها، فهي مهمة ومتاهة وهي سعة ورحابة، وهي مفازة وجسر عبور "[1]. إذاً فالصحراء مثلت لابن حمديس جسر عبور، فهو قد عبر ليذهب إلى الأندلس وكاد أن يتيه فيها. كما أنّه شاعر عاهد نفسه على أن لا يهجو، ولكن أي ثورة هذه التي يعانيها؟

" إنّه يتحدى الزمن ويهجوا الصحراء الإفريقية التي عوّض بها عن وطنه "[2].

فهذه الأبيات تبين لنا مدى مقت ابن حمديس لهذه الصحراء وسخطه عليها، لأنّه لا يحس بالأمان والطمأنينة فيها، وقوله في هذا [3]: (الطويل)

كَأَنَّكَ فِي ذَنْبٍ عَظِيم بِقَطْعِهَا فَأَنْتَ إِلَى الرَحْمَن مِنْه تَتُوبُ

فابن حمديس هنا يحس أنّه تحت ذنب عظيم اقترفه " فالهاء " هنا تعود إلى الصحراء ووحشتها وكرهه لها، لأنّ السير في غوارها صعب فلهذا أحسّ بأنها ذنب عظيم.

1- حمادة تركي زعيتر، جماليات المكان في الشعر العباسي، كلية التربية، جامعة تكريت، عمان، ط1، 2013م-1434ه، ص 77.

2- احسان عباس، العرب في صقلية، دراسة في التاريخ والأدب، ص 246 .

3- ديوان ابن حمديس، ص 39.

كما أنّ الصحراء احتفظت لها بحقل لغوي، ارتبط بمميزاته الطبيعية وخصائصه ومن نماذجها المتكررة ودلالتها في النصوص الشعرية وكذلك الروائية: الصحراء، البيداء، الرمل، النخيل، السراب..... " و المهم دلالاتها في الفن والأدب ومكانتها إذ ظلت الصحراء طيلة هذه القرون تثير خيال الشعراء والأدباء والفنانين و تستهوي أفئدة كثير من الرحالة والمغامرين والباحثين كما كانت مسرحا للبطولة والفروسية التي سجلتها السير الشعبية والملاحم "[1].

كما أنّ شعرية الصحراء وجمالياتها تكمن في طريقة استخدام هذا المكان، فهي تحمل بعدان:

بعد ايجابي متمثل في اتساعها وهدوئها فهي أرض الله الواسعة كما أنها تحمل في طياتها البساطة والبأس والشجاعة وتحمل معاني الجمال والتخيل والمعنى السلبي المتمثل في دلالات "الفقر والجدب والقحط، الرهبة والخوف واحتمالات الضياع والمجهول الإيهام والمخادعة الناتج عن الظاهرة السرابية، البداوة والتخلف، المغامرة وفقد الاتجاه، الموت والضياع "[2].

ومن هنا نرى أن شاعرنا ابن حمديس قد تأثر بهذا المكان لشدة وحشته وسرابه، وظلمته الحالكة حيث يقول [3]: (البسيط)

وَدَاخِلاَتٍ عَلَى الظّلْمَاءِ سَبْسَبَهَا بِكُلِ حَرْقٍ عَرِيقٍ فِي العلى نَدِسِ

وَكَأَنّهَا وَهِيَ تَرْمِي المقفَراتِ بِهِـــــــــــــم مِنَ الوَجِيفِ نِبَالُ وَالهُزَالِ قِيسِـــــي

مَثَلُ الحَوَاجِبِ لاَذَتْ وَهِي ظَامِئَةٌ بِأَعَيُنٍ بِالفَلاَ مَطْمُوســـــــــــــــــــــــــةٍ دُرُسِ

[1]- صلاح صالح، الرواية العربية والصحراء، وزارة الثقافة، دمشق، ط1، 1996، ص 35.

[2]- المرجع نفسه، ص 24-25 .

[3]- ديوان ابن حمديس، ص 285.

فهذه الظلماء توحي بالرهبة والخوف، ولا وجود للحياة وسبلها، فالوحشة والضياع موجود وقائم لا محالة، فبالنسبة لشاعرنا يعتبر هذا المكان منفى له أو طريق للموت، فهو منفى لافتقاده للاستقرار. كما أنّه يمثل محطة تساؤل مع الفكر وذلك لأنّ شاعرنا وحيد غريب ضائع في هذا الوجود فيصبح هذا المكان يمثل دلالات وأبعاد نفسية وتأملات وجودية يفكر فيها وتشغل خياله.

كما أنّ الفلاة هي إحدى الأدوات التي يتخذها الشاعر أساسا في بناء بطولته الفذة حيث نشم منها رائحة الفخر والزهو، ومنها نحس برقة كيف تنعكس سمات شخصيته النفسية بتحوله إلى بطل يدعي مالا يستطيعه أحد، كالحالم فها هو يزعم قطع الفلاة حيث لا سيد سوى الموت، يقول[1]:(الوافر)

وَلاَ تَرْغَبْ بِنَفْسِكَ عَنْ فـــــــلاَةٍ تَخَالُ سَرَاب قَيْعَتِها شَرَابَـــــــــــــــــــــا

فَكَم مُلْكٍ يُنَال بِخَوضِ هُلْكٍ فَلاَ يُبْهِمْ عَليكَ الخَوفُ بَابَا

وهذا منظر رهيب حقا، نظرا لما يكتنفه من ابهام وغموض، وقد كثفه بالرهبة والخوف، فالفلاة هي الصحراء واسعة فقد بدأ هذا المنظر بالترهيب والتخويف منها وبعد ذلك نفى ذلك على أن الخوف لم يبلغه رغم الإبهام والتيهان نتيجة السراب الموجود، ثم نفى الخوف، ومن هنا تصبح هذه الفلاة تدعو للتحدي من أجل إظهار البطولة والشجاعة رغم ما تدعيه هذه الصحراء من ظلام ووحشة مهلكة.

ويستمر شاعرنا ابن حمديس بمضي سيره في هذه القفار رغم وحشتها وظلمتها ومساوئ المشي فيها، إلّا أنّه يمضي قدما في طريقه حيث يقول [2]: (الوافر)

وَمَا ضَاقَتْ عَليّ الأرضُ إلاَّ دَحَوْتُ مَكَانها خُلُقًا رِحَابا

[1]- ديوان ابن حمديس، ص 15 .

[2]- المصدر نفسه، ص 15.

سَأَعْتَسِفُ القِفَار بِمُرْقَلاَتٍ تجاوزني سَبَاسِبُهَا انْتِهَابَـــــــــــــــــــــــــــــــا

تَخَالُ حَدِيثَ أَيْدِيهَا سِرَاعًا حَثِيثَ أَنَامِلٍ لَقَطَت حِسَابَا

نرى في هذه الأبيات مدى شجاعة ابن حمديس على الرغم من وحشة هذا المكان بموجوداته، فالأصوات والأشياء كلها تبعث في نفسك الخوف والصدى إلّا أنّه قطعها ليجعل من هذه القفار التي يقطعها، الأماكن التي تعلو به إلى ما يطمح إليه من مكانة إنسانية يتصورها، ونحس داخليا بأنّ صورة التحدي قائمة.

وتلعب التجربة النفسية دورا مهما في ربط الصورة بالمكان، كما أنّها قامت بتأسيس التواصل الداخلي مع المكان، ولذلك فإنّ الصحراء ارتبطت في الخيال بكل أنواع الخوف والهلع والنفي والغربة والمصير المجهول وهذه المدلولات تعكس مدى ارتباط التجربة النفسية بها وتبين لنا أثر المكان في المعنى وعلى" مستوى الصورة الشعرية فإن ثنائية الذات والموضوع متنوعة، ذات وميض مفاجئ نشطة في تحولاتها المتدفقة دون توقف "[1].

ومن هنا نجد أنّ تجربة الذات في المكان المتمثل في الصحراء تجتمع مع فكرة الموت كنهاية متوقعة للضياع والتيه وفي هذا الصدد نرى شاعرنا يتحدث عن هذا الضياع قائلا [2]: (البسيط)

لَا يَحْبِسُ المـــــــــــــــــــــــــــــاءَ إِلاَّ فِي ثَمَائِلِهَـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــا تِيهَا فَتَحرس نقطًا بِالكُبُودِ حِســــــــــــــــي

مِنْ كُلّ دَامِيةِ الأَخْفَافِ مرْقَلَـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــةٍ ترتاعُ مِنْ صَوْتٍ حَادٍ خَلْفهَا شَرِسِ

[1]- غاستونباشلار، جماليات المكان، تر غالب هالسا، ص 19 .

[2]- ديوان ابن حمديس، ص 285 .

مُسْتَوحشٍ مِنْ كَلاَم الإِنْسِ تُؤنِسُهُ مِن جُوِّعِ مِنْ ذِئَابِ المهـــــــــمة الطُّلُس

ومن هذه الأبيات يتجلى لنا مدى وحشة هذا المكان في نفس الشاعر، حيث نجده وظف معجما من الألفاظ الموحشة و التي تدلّ على القسوة والخوف وعدم الاستقرار مثل (تيها، نفطاً بالكبود، دامية، شرس، مستوحش.....) فهنا المصير مجهول والموت موجود ومحتم.

وهنا تبرز الصحراء مسيطرة على الصورة الشعرية، يبدو ذلك من خلال معاني التبعثر والضياع والوحدة والسراب وحيواناتها جائعة متوحشة تخاف أن تغدر بك وتلتهمك.

ونرى الشاعر يستعمل الصحراء بدلالة " القفار" عدة مرات، فالقفر والقفرة :" هي الخلاء من الأرض، وجمعه قفار وقفور "[1]. حيث نجده يقول [2]:

سَأَعْتَسِفُ القِفَارَ بِمُرقِلاَتٍ تُجَاوِزُنِي سَبَاسِبهَا انْتِهَابَـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــا

وفي هذا البيت نرى أن الشاعر يسرع بترك هذه القفار التي وصل إليها لأنها غير صالحة للحياة .

نستخلص أنّ الصحراء حملت في شعر ابن حمديس معاني الخوف و القلق و الرهبة على الرغم من أنّها مثلت ممر عبور .

ب) رمز البحر :

إنّ البحر كون غير مستقر وهو المحك الذي تختبر فيه قوة الانسان وارادته، والبحر له وجهان: وجه ممتع مفتوح ووجه فجيع لأنّه يرمز للموت، ابتلع ناسا كثيرين ولكنه ألهم الكثير من

[1]- ابن منظور، لسان العرب، ج11، ص 253.

[2]- ديوان ابن حمديس ، ص 15.

المبدعين.وهو فضاء واسع وعميق، وسمي ببحر لعمقه واتساعه، "وسمي بحرا لملوحته...وانما سمي بحرا لسعته وانبساطه، وسميت هذه الأنهار بحارا لأنّها مشقوقة في الأرض شقا " [1].

وقد استعملت كلمة بحر في الشعر العربي في مراحله المتنوعة، والخوف منه ومن ركوبه لا تلغي طبيعة النفس البشرية في الخوف من المجهول والخوف من الأخطار المنتظرة التي ستواجه السفن والأفلاك في أي زمن وعصر.

وقد استعملت كلمة البحر في الشعر العباسي بمعنى الكرم والعطاء ، فالبحر يقدّم الخيرات. أمّا في عصر الأندلسيين فقد تطورت استعمالات الشعراء لكلمة البحر، وتعددت صورها، فالبحر عند شاعرنا ابن حمديس صعب ركوبه لا يلجأ اليه إلا المضطر: (المتقارب)

وَأَصْعَبُ مِنْ رُكُوبِ البَحْرِ عِنْدِي أُمُورٌ
أَلْجـــــــــــــــــــــــــــــــأتْكَ إِلَى رُكُوبِه [2]

وهنا أخذ البحر معنى حقيقي في شعر ابن حمديس. والبحر رمز المسافات الشاسعة، التي تبتلع الأحبة وتفرقهم عمن يحبون، فقلب ابن حمديس اكتوى طويلا بنار الفرقة، (فالبحر) حائل بينه وأهله.

"فالبحر رافد مأساة ابن حمديس، فعندما أراد مغادرة صقلية، اضطر إلى السفر برا بدلا من السفر عبر البحر، فقد كان يعج بسفن الروم الحربية التي نزلت فيه غاصبة، وفي عهد بني عباد، كان البحر فيها للروم دون العرب بحيث كان يتعذر على العربي الذي يسكن صقلية أن يبحر إلى الأندلس...."[3]. إذا هو جسر عبور اضطر الشاعر أن يعبره وهو يحمل أعباءه.

---

[1]- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، القاهرة، ، ط3، 1933، ج1 ،ص367.

[2]- ديوان ابن حمديس، ص 8.

[3]- مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، دار العلم للملايين، ط2، 1979، ص474.

" فنظرة المغاربة إلى البحر نظرة رفض وعداء، ونجد صدى هذه النظرة في صقلية وفي ذلك يقول ابن حمديس في ديوانه حيث دار بينه وبين أبي الفضل جعفر بن المقترح الكاتب بسبتة فذكر لي قول حسن بن رشيق يصف البحر :

البَحْرُ صَعْبُالذَاقِ مُرٌّ لَأَرْجَعْت حَاجَتِي اليه

أَلَيْسَ مَاءٌ وَنَحْنُ طِين فَمَا عَسَى صَبْرنَا عَلَيْه "[1]

"فقال لي: يا أبا محمد، تقدر على اختصار هذا المعنى؟ فقلت نعم وأنشدته"[2]: (البسيط)

لَا أَركَبُ البَحْرَ خَوْفًا عَليَّ مِنْهُ المَعَاطِبَ

طِينٌ أَنَا وَهُوَ مَاء وَالطِينُ فِيهِ الماءُ ذَائِب

فهذه الأبيات تبين لنا مدى خوف شاعرنا ابن حمديس من البحر ويبين الفرق بينه وبين الماء، حيث رجع بنا الى خلق الله للإنسان وأصله أنّه طين وأنّ الماء يؤثر عليه، حيث يذوب فيه ويتحلل.

فهذه الصورة تبين لنا الأثر الذي جعل الخوف يعشعش في قلب ابن حمديس وفي نفسه. كما أنّ الأبيات الأولى تبين لنا مدى خوف كل المغاربة أو معظمهم من البحر سواءا من مذاقه أو عظمته، فهم لا يحسون بنوع من الجمال و الانبهار و ارتياح النفس فيه.

كما أنّ سقوط مدينة صقلية بين الأعداء، جعل ابن حمديس تنفجر مشاعره، ويتدفق احساسه الدفين، وهنا يجعل البحر عدوه و سبب بعده وعدم رجوعه....

ومن هنا اشتدّشوقه إلى وطنه: (الكامل)

[1]- عبد الرزاق حسين، الادب العربي في صقلية، ص 119.

[2]- المرجع نفسه، ص119 .

وَالشَوْقُ يَزْخَرُ بَحرُهُ بِقُبُولِه وَدُبُورِه وَشَمَـــــــــــــــــــــالِهِ وَجَنُوبه
(1)

ويتدفق الشوق ومعه الغضب ضدّ هذا البحر الذي جعله بعيدا عن الأهل والأحبة وقد حرمه من فردوسه المفقود (صقلية)، وبقي بعيدا وحيدا حاقدا على هذا المكان.

ويبقى شعوره بالغرق يسيطر عليه، فهو قد غرق في هذه الدنيا وذلك بدموعه المنسكبة والحزن يتبعه دائما حيث نجده يسكب هذه الدموع بسماعه موت عمته التي ربته وحزنه عليها وقد يمتنع بذرف الدموع لأنّه خائف بأن يغرق فيها وهذا تشبيه بليغ حيث يقول[2]: (الطويل)

سَقَى اللهُ قَبراً 'ثَائِرَا' بسفاقَسٍ سَوَاجِمَ يَرْضَى التربَ فِيهَا عن السُحْب

فَقَدْ عَمّهُ الاعْظَامُ مِنْ قَبرِ عَمَةٍ أَنُوحُ

عَلَيْهَـــا بِالنَحِيبِ إِلَى النَّـــــــــــــــــــحْب

بِدَمع يَمُدّ البحر فِي السَّيفِ نَحْوَه إِذَا الحُزنُ مِنْهُ وَاصَـــــــــــــــلَ السَكْبَ بِالسَكْب

وَلَوْ آمَن الاغرَاقَ أَضْعَفْتُ سَحّه وَلَكِنَّ

قَلْـــبِي الرطبَ رَقّ عَلَى قَلـــــــــــــــــــــبِي

فالشاعر في هذه الأبيات يصوّر الدموع بأنّها تقوم بسقاية قبر عمته، ويبين لنا مدى حزنه عليها في كلمة 'النحيب'، عن طريق دموع تمد البحر ورغم شساعة البحر ومياهه إلّا أنّه استطاع تشبيهها بالدموع، غير أنه يواصل في خوفه من الغرق وأنّ حاله تدعو إلى الشفقة فقلبه ضعيف ويخاف هذا البحر وصورة الإغراق أو الغرق متجذرة فيه، لأنّه جربّها بفقدانه لجاريته جوهرة التي غرقت في البحر.

[1]- ديوان ابن حمديس، ص 10

[2]- المصدر نفسه، ص 35.

" فهنا نتفق ونحن مطمئنون مع رأي الدكتور سعد اسماعيل شلبي الذي يرى في غرق الجارية جوهرة سببا كبيرا من الأسباب التي جعلت ابن حمديس يتصف ب (المزاج السوداوي) بعد غرق جاريته ليبقى شبحها ماثلا أمامه لا يكاد يفارقه "[1]، فالبحر يعكس نفسية الشاعر الهادئة.

وابن حمديس من الذين يرون في سكون البحر وحشة، وأنّه مثل الهدوء الذي يسبق العاصفة فهو دائما مخيف.

ويشبه الشاعر الأهوال التي تعرّض لها – وما أكثرها- بالبحر العظيم، ويسأل نفسه كيف استطاع أن يركبها حيث يقول[2]:

أَرَاكَ رَكِبْتَ فِي الأَهْوَالِ بَحْرًا
عَظِيمًا لَيْس يُؤْمِنُ مِنْ خُطُوبِه

تَسِيرُ فُلْكَهُ شَرْقًا
وَغَرْبًا وَتَدْفَعُ مِنْ
صِبَاهُ إِلَى جَنُوبِه

وَأَصْعَبُ مِنْ رُكُوبِ البَحْرِ عِنْدِي
أُمُورٌ أَلْجَأَتْكَ إِلَى
رُكُوبِه

فهنا نجده متحدث عن معنى البحر وربطه بكل معاني البطش والقسوة، ويتذكر في كل مرة موطنه.

- ***البحر العطاء / المكانة :***

[1] – عليمطشر نعيمة، صورة البحر ودلالتها في شعر ابن حمديس الصقلي، مجلة آداب البصرة، العدد 42، 2007، ص 134.
[2] – ديوان ابن حمديس، ص8.

وفي مقام المديح يشبه الشاعر صديقا "أديبا" من الغرب بعث له ببيتي شعر بالبحر يزخر وحده علما و "أدبا" لا يضره تعدد الأنهار من حوله[1]: (الطويل)

فَيَا فَارِسَ الشِعْرِ الذِي مَاتَ قِرْنُـــــــــه بِمَوْتِ زُهَير في ارْتِجَـــــــــــــــــــــــــــالِ غَـــــــــــــــــــــــــــرَائِبِه

لَأَصْبَحْتَ مِثْلَ البَحرِ يَزخَرُ وَحْدَه وَإِنْ كَثُرَ الأَنْهَار مِنْ عَنْ جَـــــــــــــــوَانِبِـــــــه

فهنا أخذ معنى البحر دلالة المكانة التي يتميز بها عن باقي الأماكن الأخرى مثل الأنهار، وذلك لأنّه شاسع وكبير، وكذلك الشاعر الذي كنّاه بفارس الشعر، وجاء المعنى مجازا لا حقيقة.

ويذكر الشاعر البحر في مدحه لممدوحه بسبب كرمه وعطاياه، فيقول[2]: (الطويل)

وَمَنْ ذَا يَرُدُّ البَحْرَ عَنْ فَيْضِ مَدّهُ إِذَا عَبَّ مِنْهُ بِالجَنَائِبِ مَا عَبَّا

فهنا نجده استدعى البحر بصورة ايجابية من حيث كرمه وخيراته.

-البحر / القوة :

كما أنّ صورة البحر عند ابن حمديس تأخذ معنى البطش؛ فتبدو العلاقة بين البحر والحرب وثيقة، اذ أننا نجد الشاعر يستعير لكتائب جيش الممدوح الزاحفة لحصار احدى جزر الأعداء، صورة أمواج البحر المتلاطمة فيقول: [3](الطويل)

يَخُوضُونَ بَحْراً كُلّ حِين إِلَيهُمُ بِبَحْرً يَكُونُ المَوْجُ فِيه فَوَارِسَا

[1]- ديوان ابن حمديس، ص27.

[2]- المصدر نفسه، ص 52.

[3]- المصدر نفسه، ص 275

ففي هذه الأبيات نرى مدى استعمال معاني القوة والجبروت والبطش وربطها بالبحر الذي كان سبب اغترابه وحزنه، فمعاني الفتك والهيبة دائما في نفسه. فالبحر حمل معاني الغربة في نفس ابن حمديس، كما أنّه حاجزه الذي جعله بعيدا عن أهله ووطنه، وحمل معاني الهلع والموت نتيجة الخوف منه.

ج)- رمز القبر في شعره :

يعتبر القبر مكانا مغلقا يثير في نفسنا الخوف والرهبة والسراب، كما أنّه المكان الأخير الذي نذهب إليه في هذه الحياة، والفضاء المكاني المغلق هو المكان المحدود هندسيا، وقد يحاصر حركة الشخصية ويسبب لها الضيق النفسي من جهة أخرى كما أنّه يقدم الأمن والاستقرار ويتيح فرصة العودة إلى الذات.

كما أنّ المكان المغلق هو مكان نفسي بالدرجة الأولى " المكان المصور من خلال خلجات النفس وتجلياتها وما يحيط بها "[1].

فالقبر في الشعر قد يكون معناه متجذرا في الحالة النفسية للشاعر وما يترتب عنها من انفعالات ومكبوتات، كما أن شاعرنا ابن حمديس قد وظف هذا المكان في شعره.

وقد يأخذ هذا الرمز في شعره معنى العجز والضعف في مواجهة الصعاب التي يمر بها، ويرمز للموت وفقدان الأهل والأحبة.

كما أخذ عنده معنى الفراق، فهو افترق عن أهله وأحبته وتوظيفه للقبر كان ليصور الموتى الذين في القبور، وهم شعب صقلية البلد المفقود كما أنهم يعيشون في هذا القبر وأنفسهم غير هادئة بما تعاني أرضهم المغتصبة من طرف النورمان الذين يتبخترون فيها.

ونجد شاعرنا حزينا على هذا مبينا لنا صورة هذا القبر ومن فيه قائلا [1]: (الطويل)

[1]- شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات، ط1، 1994، ص 16.

مَشُوا فِي بِلَادٍ أَهْلُهَا تَحْتَ أرْضِهَـــــــا وَمَا مَارَسُوا مِنْهُم أَبِيًا

مُمَـــارِسَا

وَلَوْ شُقِّقَت تِلْكَ القُبُور لَأَنْهَضَتْ اليهم مِنَ الأَجْدَاثِ أسْدًا عَوَابِسَـــــــــا

وَلَكِنْ رَأَيْتُ الغِيلَ إِنْ غَـــــــــــــــــابَ لَيْثُه تَبَخْتَرَ فِي أَرْجَائِه الذِئْب

مَـــــــــــــــــــائِسَـــــــا

ومن هنا نجد شاعرنا يصوّر لنا قبوراً تتشقق وتنهض أسدا حزينة على ما أصاب وطنها، ففي هذه الصورة يبين لنا ان من داخل القبور يحس ويتأثر بما يجري فوقه، ونتيجة هذا التشقق تخرج أسودا غاضبة وهذه الدلالة تحمل في طياتها معاني متعددة مثل التشقق بسبب سفك الدماء، فالطين يتشقق نتيجة عوامل متعددة، والعبارة التي تأتي ورائها تبين صورة العدو يتبختر فوق أرضه. و قد حمل القبر في هذه الأبيات معنى الفخر والاعتزاز بشعبه الذين دافعوا عن وطنه بكل قواهم وشجاعتهم.

وتحدث الشاعر عن القبر الذي دفنت فيه عمته التي حزن عليها حزنا شديدا فهي لم تمت في أرضها ومع أهلها، فشاعرنا ابن حمديس ليس حزينا على موتها أكثر مما هم حزين على أنّها دفنت في قبر ليس بأرضها ومع أهلها. فهذه العمة عاشت غريبة وماتت غريبة، وفي ذلك يقول [2] : (المتقارب)

سَقَى اللّهُ قَبْراً ثَـــــــــــــــــــــــائِراً بِسَفَـــــــــــــــــــــــــاقِس

سَوَاجِمَ يَرْضَى التُرْبَ فِيهَا عَن السُحْب

فَقَدْ عَمَّهُ الاعْظَـــــــــــــــــــــــــامُ مِنْ قَبْر عَمَةٍ أَنُوحُ عَلَيْهَا

بِالنَحِيبِ إِلَى النَّـــــــــــــــــــــــــــــــــــحْبِ

[1]- ديوان ابن حمديس، ص 276.

[2]- ديوان ابن حمديس، ص 35

بِدَمْعٍ يَمدُّ البَحْرُ فِي السَّيف نَحـــــــــــــــــــــــوه إِذَا
الحُزْن مِنْه وَاصَلَ السَكْبَ بِالسَكْبِ

ففي هذه القصيدة الشاعر يبكي ويندب على عمته حتى وصل به الأمر إلى النوح، فهي إشارة إلى غربته وغربة هذه العمة التي دفنت وقبرها بسفاقس وغربة القبر هذه أثرت به لأنّها ليست في مسقط رأسها صقلية.

ففي هذه القصيدة يدمع الشاعر دموعا حارة، ويسكب هذه الدموع المنهمرة التي لا تفارقه لأنّه يحس بالغربة ويتذكر بلده صقلية التي بقي متألما لفراقها، ودعا لقبرها بالسقية وهذا ليبين مدى حبه وحزنه عليها.

وقد تكون هناك دلالة على بكائه هذا على عمته لأنها تعتبر أمه التي ربته، فهذه العمة قد تأخذ دلالة صقلية أي الوطن الأم، فهو لم يحزن على شيء أوعلى أحد أكثر من حزنه على وطنه وأرضه التي فارقها.

كما نجده أضفى على هذا القبر دلالة الحياة وكأنّه شخص يثور وذلك دليل على مدى تأثر الشاعر بدفن عمته بعيدة عن وطنها.

القبر/ الحزن :

والقبر رمز للحزن فالموت له في نفس الشاعر مقام طويل " فقد كانت حياته سلسلة متصلة من المآسي والأحزان، فكان يأتيه نعي النعاة وهو في دار الغربة مما أذكى الأسى في نفسه، فبكاهم بكاء حارا ورثاهم رثاء حزينا صادقا ينم عن احساسه بألم الفراق وقوة الفجيعة "[1] ويواصل في رثائه لعمته: (الطويل)

[1] – فوزي عيسى، الشعر العربي في صقلية، ص 272.

فَيَا لَيْتَنِي شَاهَدْتُ نَعْشَكِ إِذْ مَشَى حَوَاليه: لَا
أَهْــــــــــــــــــــــــــــــــل
حُفَــاة وَلَا صَحْبِي

وَدَفْنكَ بِالأَيْدِي الغَرِيَة وَالْتَقَـــــــــــــــــــــــــتْ مَعَ المَوْتِ فِي اخْفَاء
شَخْصِكِ فِي حَـــــــــــــــدْبِ

فَأبسط خَــــــــدِي فَوْقَ لحدِك رَحْمَة وَتَسْقِي عَلَيه التُرْب عَيْنَايَ بِالَهدْبِ[1]

فهذه الأبيات تمثل حزن الشاعر البالغ على عمته التي دفنت بعيدة وفي أرض غريبة و لم يشاهد أحد نعشها و لم يشارك أحد من أهلها في دفنها.

" والقبر نهاية تدل على زوال دنيا الإنسان، بعد موته ويكون مثواه ومكانه الأخير، علاماته المكانية الشاخصة تدل على الفناء "[2].

فالشخص مكانه الأخير هو القبر، كما أنّه في ذلك المكان يحاسب ويعاقب ويرحل إلى مكان آخر،"وهكذا كانت الدنيا دالة على الفناء والزوال.... حين هيمن فكرة الموت عليهم، ويروا علاماته، ويؤثر في نفوسهم، فجادت قرائحهم بما يدل على المصير المحتوم، الذي ينتظر كل من عاش ويعيش على هذه الأرض "[3].

- ***القبر الحساب /الخوف:***

وقد كان شاعرنا ابن حمديس خائفا من مصيره وبما سيلاقيه نتيجة ذنوبه التي اقترفها ونجده يقول[4]: (الطويل)

1- ديوان ابن حمديس، ص 36-37.

2- حمادة تركي زعيتر، جماليات المكان في الشعر العباسي، ص 249 .

3- ديوان ابن حمديس، ص 250 .

4- المصدرنفسه،ص281.

إِلَى اللهِ أَشْكُو جُمْلَة أرَتـــــــــــــــــدِى بِهَا وَأَصْبَحُوا مِنْهَا فِي الذُنُوبِ كَمَا أُمْسِي

فَيَا وِحْشَتِي مِنْ سُوءِ مَا قَدَمَتْ يَدِي إذَا لَمْ يَكُن فِي القَبْرِ مِنْ رَحْمَة أُنْسِـــــــــــــــــــــي

تحمل هذه الأبيات في طياتها خوف ابن حمديس من القضاء والقدر، فهو يشكو إلى الله هذه الذنوب لكي يسامحه عليها، كما إنّه خائف من مصيره ومن عذاب القبر المحتوم.

ومن هنا نستخلص أنّ القبر في شعر ابن حمديسحمل دلالة الموت والفناء وأخذ معنى الغربة النفسية التي تميّز بها شاعرنا نتيجة ابتعاده عن وطنه.

الفصل الثاني:

المكان والصورة الشعرية في شعر ابن حمديس

تمهيد:

تعتبر الصورة الشعرية وسيلة للتعبير عن التجربة النفسية للأديب، فهي تقوم بتوصيل الأفكار والعواطف وذلك من خلال الأسلوب الشعري الذي يعتمد على إيصال الأفكار والعواطف من خلال الإيحاء بها عن طريق التصور، وهذا أشار إليه الجاحظ (ت:255ه) بقوله:" فإنما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير "[1].وقال عنه عبد القاهر الجرجاني :" تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا، ثم وجدنا بين المعنى في أحد البيتين وبين الآخر بينونة في عقولنا وفرقا عبرنا عن ذلك الفرق وتلك البينونة بأن قلنا للمعنى في هذا صورة غير صورته في ذلك "[2].

وهنا نرى أنّ القدرة الخيالية هي التي تقوم ببناء الصورة الشعرية وتشكيلها وتعمل على انزياح المتلقي عن المعنى الحقيقي للعمل الأدبي إلى معنى خيالي يستلهمه ويحس به ويعطيه جمالية فنية تعمل على هزّ وجدانه من خلال الإيحاءات المتعددة.

ونخلص إلى أنّ الصورة الشعرية هي " السمة المميّزة لكل عمل أدبي، فهي تحدد رؤية الشاعر وتظهر قدرته في الإفصاح عن مكنوناته بطريقة مؤثرة في متلقيه، وتوجه مسار قصيدته فنيا؛ لتشكل في النهاية إطارا خاصا به ويتعاون في تشكيل الصورة حواس الشاعر وملكاته، وقدرته في الربط بين الأشياء المتنافرة في الواقع؛ لإثارة العواطف والملكات التخيلية، وقد يربط الشاعر بين الأمور المتباعدة بالتشبيه، وقد يعقد الصلة بين الإنسان والطبيعة بالاستعارة، فيجعل من الطبيعة ذاتا، ومن الذات طبيعة خارجة، فتجمع الصورة بين التشبيه والاستعارة وغيرها من وسائل الأداء المجازي، والتصوير البلاغي "[3]. ومن هنا نرى أن الصورة الفنية ميزة مهمة يقوم بها عمل الشاعر لتضفي على هذا العمل جمالية وتزيده رونقا وبهاء لما تقوم به من جمالية فنية.

---

[1]- محمد عبيد صالح السّبهاني، المكان في الشعر الأندلسي، من الفتح حتى سقوط الخلافة، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2007، ص171 .

[2]- المرجع نفسه، ص165 .

[3]- المرجع نفسه، ص168.

يعتبر المكان عنصرا أساسيا في بنية العمل الفني و يؤدي دور بارز في العمل الأدبي. وقد اهتم به الشعراء اهتماما بالغا وذلك من خلال علاقاتهم بالأمكنة التي يعيشون فيها أو يحنون إليها، كما أنّ هناك من يحمّل للمكان أبعادا سلبية.

فمنذ القديم ونحن نجد الشعراء يهتمون بالمكان اهتماما أكسبه قيمة كبيرة وجمالية فنية عظيمة، ولذلك نجد الأدباء يكثرون من وصف الأمكنة وتصويرها وتشخيصها حسب حالاتهم النفسية ومكبوتاتهم الداخلية. والمكان عند شاعرنا ابن حمديس كما رأينا حمل عنده معاني متعددة ومشاعر مختلفة، فصقلية ارتبط بها شاعرنا ارتباطا وثيقا فهي روحه وكل أحاسيسه فكانت هي مكان عشقه ومنبت شعره وعلى عكس هذا المكان وجماليته في نفس ابن حمديس نرى الصحراء الإفريقية كانت تعبّر عن حزنه وقلقه ومصدر خوفه. فالمكان هو الأرضية التي يبسط عليها شاعرنا ابن حمديس ألوانه الفنية وجاعلا من الصورة " الشكل الخارجي المعبّر عن حالته النفسية وعن تفاعله الداخلي وهي الضوء الكاشف عن روحه الشفافة الرقيقة "[1].

[1]- محمد عبيد صالح السّبهاني، المكان في الشعر الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة، ص172.

أولا –المكان والصورة التشبيهية:

إنّ الصورة التشبيهية أكثر بروزا في شعر ابن حمديس، " والتشبيه هو إلحاق أمر بأمر آخر في صفة أو أكثر بأداة من أدوات التشبيه ملفوظة أو ملحوظة. وهو عند عبد القاهر :" أن تثبت لهذا معنى من معاني ذاك أو حكما من أحكامه كإثباتك للرجل شجاعة الأسد، وللحجة حكم النور في أنك تفصل بها بين الحق والباطل كما يفصل بالنور بين الأشياء "[1].

وفي هذا التعريف نجد النقاد قاموا بنقده على أنّه يبين وظيفة التشبيه وعمله وهذا نستخلصه من الأداة التي تعتبر ركنا من أركانه وتلعب دورا في تكوين الدلالة .

واستعمال التشبيه أمر لابد منه في الشعر " وذلك لإخراجه الخفي إلى الجلي، وادنائه البعيد من القريب، يزيد المعاني رفعة ووضوحا، ويكسبها جمالا وفضلا، ويكسوها شرفا نبلا "[2].

***– أركان التشبيه وطرفاه:**

" أركان التشبيه أربعة هي: المشبه والمشبه به والأداة ووجه الشبه. أمّا طرفاه فهما المشبه والمشبه به، هما طرفان وهما ركنان، أما الأداة ووجه الشبه فركنان فقط .

والفرق بين الركن والطرف في التشبيه: أن الركن يمكن وجود التشبيه بدونه بل ان حذفه أفضل من ذكره أما الطرف فلا يمكن وجود التشبيه بدونه"[3]

ويقسّم التشبيه إلى الصور المفردة والصور المركبة، وأظهر هذا الأسلوب فاعلية في تصوير مظاهر الجمال لأماكن متنوعة، فجاءت قصائد شاعرنا ابن حمديس غاية في الجمال.

---

[1]– عبده عبد العزيز قلقيلة، البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1412ه–1992م، ص37.

[2]– أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني و البيان والبديع، مطبعة الاعتماد، القاهرة، ط10، 1940، 247.

[3]–عبده عبد العزيز قلقبلة ، البلاغة الاصطلاحية، ص39.

وتتفاوت تشبيهاته لأنّه من الشعراء الذين يميلون إلى الإفصاح عن الأفكار غير أنّه من الذين يميلون إلى التهويل والتعظيم ليبينون مرارة الحياة وجمالياتها. والجمالية تكمن في البيئة الأخاذة التي تتميّز بها صقلية وكذلك الأندلس وما طبعت به شاعرنا ابن حمديس حيث ولع بها. ونجد يتغزل في قوله [1]: (البسيط)

زَارَتْ عَلَى الخَوْفِ مِنْ رَقِيبِ كَظَبْيَةٍ رُوِّعَتْ بِذِيـــبِ

كَافُورَةٌ فِي بَيَاضِ لَـــــوْن وَمِسْكَةٌ فِي ذَكِي طِيب

كَادَتْ تُرَوّي غَلِيل صَبـــــٍ فُوَاده منه فِي لَهِيـــب

من ثغبٍ باردٍ حصـــــــاه منظم اللؤلؤ الشنيـــب

شبّه الشاعر الحبيبة بالظّبية الخائفة من الذئب، كما نجده وصف بياض بشرتها بالكافورة التي تضيء ظلمة الليل ورائحتها برائحة المسك وكأنّها تروي صباً ،كما شبّه فمها المزين بالأسنان وكأنها لؤلؤ

وهذا تشبيه بليغ لأنّ وجه الشبه قليل الظهور ويحتاج في ادراكه إلى إعمال الفكر واجهاده. وسبب تسميته بالبليغ أن ذكر الطرفين فقط يوهم اتحادهما، وعدم تفاضلهما، فيعلو المشبه إلى مستوى المشبه به، وهذه هي المبالغة في قوة التشبيه.

ويصف ابن حمديس نهرا قائلا [2]: (البسيط)

وَمغْرِبٍ طعنته غير نابيةأَسِنّةٌ هِيَ إِنْ حَقَقَتْهَا شُهَبٌ

وَمَشْرِقٍ كِيمْيَاءُ الشَّمْسِ فِي يَدِه فَفِضَةُ المَاءِ مِنْ إِلْقَائهَا ذَهَبُ

[1] – ديوان ابن حمديس، ص6.

[2] – المصدر نفسه، ص25.

في هذين البيتين نجد الصورة التشبيهية تبدو مرتبطة بالحالة النفسية للشاعر حيث شبّه الشهب وقد ظهرت على وجه النهر وقت غروب الشمس بأسنّة الرماح، ثم شبّه احمرار الشمس التي بدت فوق النهر وقت الشروق بالذهب الأصفر الخالص.

كما نجده شبّه الأشعة بالرماح التي تقضي على أعدائه. و من هنا نجد أنّ الشاعر قام بتداخل المعجم اللغوي لأنه مرهف الإحساس وقوي التصوير.

ونرى أنّ ابن حمديس بالغ في وصف ممدوحه ابن يحي حيث نجده يصفه بالشجاعة، من ذلك قوله [1]:

فَيَا ابْنَ عَلِيٍ أَنْتَ شِبْل حِمَى الهُدَى وَأَنْبَتَ حَوْلَيْه الذَوَابِل غَابَـــــــا

هذه الصورة بينت مدى رفعة ابن علي حيث شبهه بالشبل وما يتميز به من قوة وشجاعة وتكمن هذه الشجاعة في أنّه يدافع عن دينه عن طريق بناءه غابة يسكنها الهدوء والطمأنينة .

ويقول في وصفه لخيل يجري بسرعة [2]:(البسيط)

يَعْدُو ولاَ ظَلّ لَهُ فَكَانَّهُبَرْقٌ فَيَا لِلْبَرْق مِنْ مَرْكوب

فالمشبه هنا هو الخيل، والمشبه به البرق، ووجه الشبه محذوف ممثل في السرعة، فدلالة التشبيه هي المبالغة في سرعة هذا الخيل التي يتميّز بها.

واستعمال التشبيه أمر لابدّ منه في الشعر " وذلك لإخراجه الخفي إلى الجلي، وإدنائه البعيد من القريب، يزيد المعاني رفعة ووضوحا، ويكسبها جمالا وفضلا، ويكسوها شرفا ونبلاً "[3].

---

[1]- ديوان ابن حمديس، ص57.

[2]- المصدر نفسه، ص61.

[3]- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، مطبعة الاعتماد، القاهرة، ط10، 1940، ص247.

وساعد هذا الأسلوب البياني على تصوير مظاهر الجمال لأماكن متنوعة، فجاءت قصائد شاعرنا ابن حمديس غاية في الجمال .

وتأتي أبيات شاعرنا ابن حمديس وهو يظهر لنا عشقه للمكان، فتسمعه يقول[1]:

أَحِنُّ حَنِينَ النِّيبِ للمَـــــــوطِنِ الذِي مَغَانِي غَوانيه إلَيهِ جَوَاذِبـــــي

وَمَنْ سَارَ عَن أرضٍ ثَوَى قَـــــــلبُهُ بِهَا تَمَنِّى لَه الجســـــم أوبة آيِبِ

وهنا نرى أن شاعرنا قدّم لنا شدة حنينه للمكان عن طريق تشبيه حنينه بحنين النِّيبِ (النوق المسنة) إلى أوطانها. فهذا التشبيه نجده لا يحتوي على أداة التشبيه فهي محذوفة لكن نفهمه من سياق الكلام .

وقال في وصفه الخيل في المعركة بأنّها صخور متينة وصلبة، أودع بها السيل من علٍ بشكل مصوّب على الأعداء لتهوي بسرعة ويصوّر لنا هذا المشهد وكأنّنا موجودين فهو مسرع صوب هدفه رغم السرعة التي قد تبعده عن الهدف وعن اتجاهه فيقول[2]:(البسيط)

وَكَأنّه مِردَاةُ صَخرٍ حَطّه مِنْ عَلْوِ سَيْلٍ مَاجَ فِي تَصْوِيبِ

فهنا نجد التشبيه يحتوي على أركانه فالأداة "كأنّه" والمشبه الخيل ووجه الشبه الصخر. وذلك دليل على قوة الصخرة وقسوتها فهي مسرعة ومتسارعة نحو أسفل السيل. ونتوقف أمام صورة أخرى يستدعي فيها الشاعر "الصحراء" متحدثا عن النوق، فيقول [3]:(الطويل)

رَكِبْتُ الَنَوَى فِي رَحْلِ كُلّ نَجِيَبة تُواصِلُ أَسْبَابِي بِقَطْعِ السَبَاسِـــــــب

قَلَاصٌ حَنَاهُن الهُزَالُ كَأَنّـــــها حَنَيَاتُ نَبْعٍ فِي أَكُفّ جَوَانِـــــــب

[1]- ديوان ابن حمديس، ص33.

[2]- المصدر نفسه، ص61.

[3]- المصدر نفسه، ص29-30.

في هذه الأبيات نرى تشبيهين، فالتشبيه الأول يكمن في تشبيه القلاص بحنيات نبع وذلك بسبب حدب كلتيهما، وشبه وقوفهن على عيون الماء بالحواجب لأنّها تعلو العين وتحط فوقها .

ورأينا أنّ شاعرنا أحسّ بغربة أثرت على حياته وجعلت منه رجلا رقيقا يشتاق إلى وطنه و لم يفارق هذا ذهنه، بل جعلته يرى أبناء وطنه شجعان و أبطال يناهضون من أجله ونجده يتحدث بصدد هذا قائلا[1]:

فَلَمْ تُرْعِينِ مِثلُهُم فِي كَتِيبَة مَضَارِبَ أبْطَال الحُرُوبِ مَدَاعِسَا

فهنا الشاعر يتحدث بضمير الغائب (هم) الذي يشير به إلى شعبه، والصورة التشبيهية تتمثل في المشبه به مضارب أبطال فقد شبههم بقومه الذين لا يقهرون ويخوضون حروبا يغامرون بحياتهم من أجلها.

وقد تميزت سينية ابن حمديس بتعدد الصور التشبيهية حيث نجده يصور لنا شعبه وهو يخوض غمار المعركة في البحر، فيقول[2]:

يَخُوضُونَ بَحْرا كُلَ حِيـــــن إلَيْهُم بِبَحْر يَكُونُ المـــوْجُ فِيـــهِ فَوَارِسا

فقد شبّه الشاعر الحرب بالبحر الواسع العميق بما يحمله من خوف ورهبة وكذلك الحرب، كما شبّه الأمواج بالفوارس الشجعان لأنّهم يتحركون بسرعة وقوة كسرعة البحر وهيجانه.

ونجد الشاعر يقول [3]:

إذَا وَرَدَتْ مِنْ زُرْقَةِ المَاءِ أَعْيُنًا وَقَفْنَ عَلى أَرْجَائِهَا كَالحَواجِبِ

شبّه ابن حمديس هيئة الناقة وهي واقفةمقوسةكالحواجب.كما نجده يشبّه الليالي بالمهديين، قائلا:

[1]- ديوان ابن حمديس، ص275.

[2]- المصدرنفسه، ص275.

[3]- المصدر نفسه، ص30.

(لَيَـــالِي بِالمهْدِيَّتَيْنِ كَأَنَــهَا اللَآلِئُ مِن دُنْيَاك فَـــــــوْقَ تَرَائِـــــبِ)[1]

شبّه الشاعر الليالي بالمهديين باللآلئ، وقد يكون في هذا معنيين: مادي حيث قصد به المكان المنبهر الذي ذهب إليه، ومعنوي ويقصد به الراحة والاستقرار.

وفي الأخير نستخلص أن شاعرنا اعتمد على التشبيه كثيرا في تشكيل صورته الشعرية، وهو أكثر وسائل تشكيل الصورة عنده؛ لما له من أثر كبير في ايضاح المعاني والأفكار، ونقل المشاعر والأحاسيس وتشبيه الأمكنة بصور حسية، وكان للبيئة التي عاش فيها وانتقل إليها أثر في التقاط صوره .

[1]- المصدر السابق، ص .31

ثانيا –الصورة الاستعارية في شعر ابن حمديس :

1) الاستعارة لغة و اصطلاحا:

للاستعارة اهمية كبيرة في العمل الأدبي؛لما تنطوي عليه من وظائف تكسب المعنى قيمة جمالية، إلى جانب قيمتها التعبيرية .

والاستعارة في اللغة: " مأخوذة من العارية، أي نقل الشيء من شخص إلى آخر حتى تصبح تلك العارية من خصائص المعار إليه "[1]. والعارية والعارة ما تداولوه بينهم، وقد أعاره الشيء وأعاره منه وعاوره إياه .

والمعاورةوالتعاور: شبه المداولة والتداول في الشيء يكون بين اثنين..... وتعور واستعار: طلب العرية، واستعاره الشيء و استعاره منه : طلب منه أن يعيره إياه "[2].

وجاء في المعجم الوسيط، " استعار الشيء منه طلب أن يعطيه إياه "[3].

وقال الزمخشري: " أنّ العرب تقول أرى الدهر يستعيرني شبابي أي يأخذه مني "[4].

ومن هنا نرى أنّ الاستعارة لغة رفع الشيء وتحويله من مكان لآخر.

أما الاستعارة في الاصطلاح :

فقد عرّفها البلاغيون بتعاريف كثيرة، عرّفها الجاحظ بقوله: " هي تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه "[5].

---

[1]– أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، المجمع العلمي العراقي، بغداد، (دط)، 1403ه-1983م، ص136.

[2]– ابن منظور، لسان العرب، ص471.

[3]– مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار عمران، بيروت، ط3، 1985، ص659.

[4]– الزمخشري، أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، (دط)، 1979، ص439 .

[5]– الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة،ط7، 1418ه-1998م،ج1، ص153.

وفي كتاب الحيوان أورد في باب (ما يحتاج إلى معرفته) بعض ألفاظ أطلق عليها استعارة، وذلك كما يلاحظ في الاستعمال من علاقة المشابهة بين المستعار والمستعار له .

ويقول ابن قتيبة في تعريف الاستعارة : " فالعرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة، إذا كان المسمى بها بسبب من الأخرى، أو مجاوراً لها، أو مشاكلا "[1].

أمّا عبد العزيز الجرجاني فيعرفها بقوله:" وإنّما الاستعارة ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الأصل ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها، وملاكها تقريب الشبه ومناسبة المستعار له للمستعار منه وامتزاج اللفظ بالمعنى، حتى لا يوجد بينهما مناقرة ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر "[2].

إذا فالاستعارة عند البلاغيين " أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرفالآخر مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به دالا على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به "[3].

وقد جاء حضور الاستعارة عند ابن حمديس في المرتبة الثانية بعد التشبيه الذي يُعدُّ البذرة الأولى للصورة الفنية، وقد عرفت الاستعارة أيضا بأنها: " تشبيه حذف أحد طرفيه، وحذف أحد طرفي التشبيه فيها لا يعني الاستغناء عنه ولكنّه يعني حفز خيال المتلقي لإدراكه دائما، وفي هذا يقظة داخلية حتمية عند المتلقي كانت قد سبقتها يقظة داخلية حتمية عند المبدع، وهو يلاحق تركيب العناصر وترتيبها على نسق خاص، يظهر شيئا ويخفي آخر، وكل هذا يعطي مجالا للدقة والتعقيد أكثر من التشبيه "[4].

فالاستعارة تعد من أدوات الشاعر في تشكيل الصورة، وقد استطاع شاعرنا ابن حمديس أن يوظف الاستعارة مع عدد من التقنيات التعبيرية الأخرى توظيفا ابداعيا صبغ لغته وتجاوز بها التعبير

---

[1]- زينب يوسف عبد الله هاشم، الاستعارة عند عبد القاهر الجرجاني، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في البلاغة العربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1414ه-1994م، ص7.

[2]- المرجع نفسه، ص12.

[3]- أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق أكرم عثمان يوسف، مطبعة دار الرسالة، بغداد، (دط)، (دت)، ص677.

[4]- عبد القادر الرباعي، الصورة الفنية في شعر زهير بن أبي سُلمى، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1984م، ص176.

العادي، ليحلق في سماء الابداع لغة شعرية امتلكت الواقع، واختزلت الوجود، ذات دلالات عميقة وخصبة، مما جعلها ذات قدرة فاعلية على تحريك مشاعر المتلقي، وتفاعله مع قصائده.

2 - أنواع الاستعارة:

يقسم البلاغيون الاستعارة باعتبار طرفيها، أي من حيث ذكر أحد طرفيها إلى تصريحية ومكنية. يقول السكاكي : "فأعلم أن الاستعارة تنقسم إلى مصرح بها،ومكني عنها، والمراد الأول هو أن يكون الطرف المذكور من طرفي التشبيه هو المشبه به، والمراد بالثانيهو أن يكون الطرف المذكور هو المشبه، والمصرح به تنقسم إلى تحقيقية وتخيلية"[1].

أ/ الاستعارة التصريحية :

وهي كما عرفها السكاكي: ماصرح فيها بلفظ المشبه به،أو ما أستعير فيها لفظالمشبه به للمشبه. ولبيان ذلك يقول تعالى:

" كِتَابٌأَنْزَلْنَاهُإليك لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِإِلَى النُّورِ"[2].

ففي الآية الكريمة مجازان لغويان في كلمتي (الظلمات) ،و (النور)يريد بالأولى الظلال، وبالثانية الهدى والإيمان، فقد أستعار الظلمات للظلال لعلاقة المشابهة بينهما لعدم اهتداء صاحبهما، وأستعير كذلك النور بالهدىوالإيمان لعلاقة المشابهة بينهما في الهداية، والقرينة التي منعت من إرادة المعنيين الحقيقيين قرينة حالية تفهم من سياق الكلام.

---

[1]- السكاكي، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1407 ه-1987م، ص373.

[2]- سورة ابراهيم، الآية 1.

والمشابهة هي المشاركة التي أشار إليها ابن الأثير بين المستعار منه والمستعار له وهي مشاركة الظلال للظلمات في التخبط وعدم الاهتداء.

وإذا نقبنا ودققنا النظر في المجاز اللغوي في الآية الكريمة نلمح تشبيها حذف منه لفظ المشبه، وأستعير بدله لفظ المشبه به، وصرح به صراحة، ليقوم مقامه، لادعاءأن المشبه به هو عين المشبه مبالغة، فكل مجاز من هذا النوعيسمى استعارة، ولما كان المشبه به مصرحا به في مثل هذا يسمى استعارة تصريحية فقس على ذلك .

ونجد أنّ ابن حمديس استخدم الاستعارة التصريحية بصورة جيدة في شعره وساعدته على إظهار الصورة الفنية فقد ذكرنا أنّه يصرح فيها بلفظ (المشبه به)ويجعل المشبه يقوم مقامه ونجده يمدح ملك الدولة قائلا[1]: (الرمل)

أَشِهَابٌ فِي دُجَى اللَّيْلِ ثَقَب أَمْ سِرَاجٌ نَارُهُ مَاءُ العِنَبْ

لجأ الشاعر في هذا البيت الى استعمال أسلوب الاستفهام المتمثل في أداة الاستفهام (الهمزة) من أجل بناء صورة جميلة ومن خلال الاستعارة التصريحية حذفمنها المشبه وهو(يحي بن تميم) إذ شبهه مرة بالشهاب عندما داهمه الظلام ومرة أخرى بالسراج الذي ينير ماء العنب وقد تكون استعارة عن الخمر لأنّه يمثل ماء العنب وقد استعمل الشاعر استعارة أخرى في مدحه لقائده على سبيل الاستعارة التصريحية حيث يقول[2]:(الرمل)

أَسَدُ الرَّوْعِ الذِي حِمْلَاقُهُيُرْسِلُ اللَّحْظَةَ مَوْتاً فَيُهَابُ

شبّه الشاعر في هذا البيت قائده بالأسد من حيث أنّه يتميز بالشجاعة والهيبة للمكانة التي يتميز بها، وجراء هذه المكانة خلق نوعا من الهيبة، حيث نجدلفظة (فيهاب) تحمل دلالة السمو والقوة كما نجد شاعرنا أضاف إلى لفظة أسدلفظة أخرى وهي الروع لتقوية المعنى وتقديم ذلك في صورة جميلة، حيث ذكر المشبه به وهو الأسد وحذف المشبه وهو القائد.

[1]- ديوان ابن حمديس،ص478.

[2]-المصدر نفسه،ص65.

وللشاعر في تشبيه السفن بالبحر على سبيل الاستعارة التصريحية يقول[1]:(الطويل)

يَخُوضُونَ بَحْراً كُلَّ حِينٍإِلَيهم بِبَحْرٍ يَكُونُ المَوْجُ فِيهِ فَوَارِسَا

نرى شاعرنا في هذه الصورة قد حذف المشبه من الشطر الثاني (السفن)، وأثبت المشبه به (البحر) في الشطر الثاني، إذا فالمشبه به هو عينالمشبه، وهذا أبعد مدى في البلاغة وأدخل في المبالغة، هذه الاستعارة تصرحبحالة الحرب التي يخوضها شعب صقلية.كما تبدو العلاقة بين الحرب والبحر عندابنحمديس وثيقة، إذ أننا نجدهيستعير لكتائب جيش الممدوح الزاحفة لحصار إحدى جزر الأعداء، صورة أمواج البحرالهائج،مستعيرا لمشاهد هذا الزحف والحصار، صورة امتداد البحر وتقلصه بينحالتي المد والجزر إشارة إلى صولات الفرسان وانقضاضهم على الأعداء بين هجوم واندفاع وتراجع تقتضيها حالة الحرب وما هي عليه من قوة ومباغتة .

ويستمر الشاعر في مدح ممدوحهتميما في قوله[2]:

[إِذَا شِئْتَ أَنْ أَرْمِي الهِلَالَ بِلَحْظَةٍ لَمَحْتُ "تميماً" فِي سَمَاءِ المَنَاقِب]

تكمن الاستعارة التصريحية في (أرمي الهلال) فقد وجد المشبه به وهو لازمة من لوازم الإنسان وهي قدرتهعلى الرمي، ليعطيصورة واضحة عن مكانة الأمير تميم بين الأمراء في سماء المناقب .

2-الاستعارة المكنية:

" وهي ما حذف فيها المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه"[3].وهي أبلغ أثرا و أكثر تأثيرا،وقد وردت في مواضع كثيرة في القرآن الكريم، منها:

---

[1]-المصدر نفسه،ص275.

[2]- ديوان ابن حمديس، ص31.

[3]- أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة(البيان والمعاني والبديع) دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان، ط3 ، 1414ه-1993م، ص271.

قوله تعالى: " وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُلِّ مِنَ الرَّحْمَـــــةِ"[1]،حيث شبـــــــّه الذل بطـــــــائر بجامع الخضوع واستعير للطائر الذل ثم حذف الطائر ورمز له بشيء من لوازمهوهو الجناح على سبيل الاستعارةالمكنيـــــــــة .

وهناك فرق بين التشبيه والاستعارة و هو" أنّ الاستعـــــــــــــارة أقـــــوى من التشبيهتأثيرا وأعظم منه إبرازاللأشياء في صورة مستجدة وذلك أنّها تهدم الحواجـــــــــــز بين الحدين الذين يقف عليهما وتذيب ما بينهما من مسافات وتوحد بينهما في شكل ليس له وجود مسبق وعلاقة جديدة لم توجد من قبل وهي إن لم تكن داخلة في جواهر الشاعرية ونظام عمود الشعر عند القدماء فإنّها من أدق مقومات التصوير البياني لما فيها من طاقة خيالية تصويرية قادرة على تجسيد الأشياء وتجسيمها في صورة رائعة بارعة مؤثرة "[2].

وقد حظيت الاستعارة بمكانة كبيرة بين أنواع البيان الأخرى حيث نجد الشاعر تأثر بها في أسلوبه الشعري، وذلك بتصويره جمال الطبيعة وولعه بهاو لم ينسيها جمالها هذا حزنه وتحسره على أيام شبابه ونجده يقول[3]: (البسيط)

مَاذَا تَقُولُ وَلُجّ البَحْرِ يَسْحَبُهُ" إِنَّ السَفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى اليَبِسِ"

قفْ بِالّتفَكُـــرِ يَا هَذَا عَلَى زَمَنجَمَّالخُطُوبَ وَمَثل صَرْخَةَ وقِسِ

في هذه الأبيات شبه ابن حمديسأيامه المضطربة، بلجّ البحر، كما أنّ السفينة لا تجري على اليبس أي أنّها لا تسافر في البحر الهائج، المريب وتصبح لاحول لها ولاقوة في استمرار الإبحار.

وقد صوّر الشاعر حالته الشعرية وأسقطها على محسوسات طبيعية تمثلت في صورة البرق الحامل للأمطار وفي هذا نجده يقول [4]:

---

[1]- سورة الاسراء الآية 24.

[2]- غضوب عبد الله حميس، عبد الله بن المعتز شاعرا، دار الثقافة، الدوحة، ط 2 ، 1986م، ص461.

[3]- ديوان ابن حمديس،ص285.

[4]- المصدر نفسه،ص45.

أَوعَلَى بَرْقِ سَمَاء ضَاحِك غَيمُه بِالدَّمْعِ مُنْسَـــكِب

فصدر البيت يحتوي على استعارة مكنية تتجلى في (برق سماء ضاحك)وكأنّه يصف إنسانا ضاحكا، فقد جسّد الشاعر المعنويات في شكل محسوسات حرصا على إدراكها فشاعرنا أخذ لنا شيء جامد متمثل في البرق وهو يضحك في صورة حية محسوسة .

وقد يكون الشاعر في هذه الصورة يستدعي لنا حضوره هو وحضور البرق وأنّهما ينتظران طلوع النهار، فالشاعر يترقب استرجاع أيامه ويحن إليها بنوع من الشوق وكذلك البرق ينتظر سقوط المطر ليسقي الأرض، والصورة الثانية تكملّ الأولى ففيها أشار إلى أنّ الدمع منسكب، تشخيصما هو مادي والدموع التي يذرفها الغيم، فصورة المطر التي يذرفها الغيم انعكست وتحدث عنها وكأنها المطر.

وشاعرنا لم يكتف بتصوير صور الطبيعة الحية فقط بل ذهب إلى صورها الجامدة وهذا ما يدل على أنها تأتينا في أبهى حلة وهذا مايدل على قيمة الاستعارة ولما تلعبه من دور في نقل الأحاسيس والمشاعر الدفينة التي يطمح الشاعر إلى إيصالها فنجده يقول [1]: (الرمل)

صَارِمٌ يُبْكِي دُمَى الرُومِ دَمًاإِنْ تَغَنَّى مِنْه فِي الْهَامِ ذُبَاب

تحتوي الصورة على استعارة مكنية تتجسد في وصفه للقائد الذي جعل جيوش الروم مجرد دمى، فقد جسد جيوش الروم في لعبة لا تتحرك وذلك لشدة قوته وجبروته.ويستمر شاعرنا في التحدث عن حزنه وما أصابه من هذا الزمن، فيقول [2]:

تَدَرَعْتُ صَبْرِي جَنَةً لِلنَوَائِب فَإِنْ لَمَ تُسَالِم يَازَمَانُ فَحَارِب

نجد شاعرنا يأمر الزمن ويقول له (حارب)؛ والزمن أمر معنوي، فالأمر هنا غير حقيقي والغرض منه هو التألم والحزن، فالشاعر جعل الزمن محارب له وكأنه شخص سيحاربه.

وهناك صورة أخرى تجد الشاعر يتحدث فيها مع الطيف، فيقول[1]:

[1]- ديوان ابن حمديس،ص65.

[2]- المصدر نفسه،ص28.

فَهَلْ حَالَ مِنْ شَكْلِي عَلَيْه فَلَم يَزُرقَضَافَة جِسْمِي وَابْيِضَاضَ ذَوَائِبِي

فالشاعر وهو بعيد عن وطنه لم يجد من يأنس به، فهو يحس أنّه غريب لا وطن له، وحتى الطيف الذي كان يزوره صدّ عن ذلك وهو بذلك يتساءل عما أصابهفشخص ما هو معنوي (الطيف) في صورة مادية وكأنّه(إنسان) يتحدث معه.

وقد بدت لنا الاستعارة التمثيلية في صور عديدة ومن أمثلتها ما جاء في قوله[2]:

وَلَكِنْ رَأَيْتُ الغِيلَ إِنْ غَابَ لَيْثُه تَبَخْتَرَ فِي أَرْجَائِه الذِئْبُ مَائِسَا

فالشاعر أحب بلاده حبا كبيرا ، فنجده يصورها ويجسدها في أشعارهو صوره تبرز لناذلك فالخيال لعب دورا فعالا من خلال حزن الشاعر على ما أصاب بلاده جراءاستعمارها من طرف النورمان ففي قوله (ولكن رأيت الغيل)استعارة تمثيلية فقد شبّه بلاده بغابة فهو يصور ما يحدث في وطنه عند غياب الملك، فذكر المستعار منه (الغيل) وحذف المستعار له البلاد، فالغابة فقدت هدوءها جرّاءالاستعمار لأنّ العدو استغلّ فرصة غياب الليث أي شجعان صقلية وغيابهم عنها فالمشبه به (الجيش الشجاع) الذي تجمعه مع الليث القوة والشجاعة .

ويحتوي عجز البيت على استعارة مكنية متمثلة في (تبختر في أرجائه الذئب) فالشاعر وفق في هذه الصورة حيث جعل الذئب يتبختر و كأنّه إنسان.

وفي الأخير نستخلص أنّ الشواهد كثيرة في شعر ابنحمديس بصدد الاستعارة فهي نجحت في ابراز الصورة الفنية للمكان، وجعلت في الصورة الفنية حركةوتنفسا للجامد استنطاقا له والإحساس به.

[1]- المصدر نفسه، ص30 .

ثالثا –الصورة الكنائية في شعر ابن حمديس :

معروف أن الكناية من فنون التصوير البياني وأساليب التعبير الفني، فالتعبير الذي يتخذ شكل الصورة الكنائية هو بحد ذاته تعبير بليغ وأجمل من التعبير المباشر،وإن شكل الجملة الذي تتخذه الكناية في التعبير يجعل المعنى الثاني(المكنى عنه) مختفيـــــــــــــــــاوراء صورة لا نصل إليها إلّا من خلالها وتحتفظ الكناية، بالإضافة إلى الأوجهالبلاغية الأخرى، بقيمة خاصة نظرا لما تتمتع به من خصوصيات مميزة.

ومن الواجب إذا أن نقف عند الكناية ونحاول أن نبيّن حدها وتعدد أبرز الأقسام الموظفة في شعر ابن حمديس ونبرز دورها في إبراز المعنى وتصويره في قوالب تعبيرية جذابة .

–مفهوم الكناية:

أ– لغـــــــــة:

جاء في القاموس المحيط: " الكناية مصدر للفعل (كنيت أو كنوت)، تقول كنيت بكذا عن كذا، تكلمت بما تستدل عليه أو تكلمت على شيء و أردت غيره"[1].

ب ــ اصطلاحا:

جاء في (المعجم الأدبي)في تعريف الكناية اصطلاحا :"الكناية لفظ يراد به ما يستلزمه ذلك اللفظ، ويستنتج منه، مع جواز إرادة المعنى الظاهر نفسه"[2].وقد قال السكاكي:" إن الانتقال في الكناية يكون من اللازم إلى الملزوم كالانتقال مثلا من طول النجاد إلى طول القامة"[3].وإذا عدنا إلى ما أورده الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين) قد أورد تعريفا للبلاغةعند بعض الهنود ويشير إلى الكناية

[1]– الفيروز أبادي،القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة،بيروت،(دط)،1987،ص317.

[2]– جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين،بيروت،لبنان،ط2،كانون الثاني1984،ص223.

[3]– أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، ص 169.

بقوله:" وقال بعض الهنود: جماع البلاغة البصر والحجة والمعرفة بمواضع العرض أن تدع الإفصاح بها للكناية، إذا كانالإفصاح أوعر طريقا"[1]. ومن هنا نرى أن الجاحظ اعتبر الكناية مقابلة للتصريح.

ويقول الخطيب القزويني في تعريف الكناية " هي لفظ أريد به لازم معناه معجواز إرادة معناه حينئذ كقولك (فلان طويل النجاد) أي طويل القامة وفلانة(نؤوم الضحى) أي مرفهة مخدومة .... ولا يمتنع أن يراد مع ذلك طول النجادوالنوم في الضحى من غير تأويل"[2].

والكناية عنده ثلاثة أقسام:لأنّ المطلوب بها إمّا غير صفة ولا نسبة،أوصفة أونسبة والمراد بالصفة المعنوية كالجود والكرم والشجاعة وأمثالها لا النعت.ومن هنا نحرص على تقسيم الكناية باعتبار المكنى عنهإلى ثلاثة أقسام:

1ـــــ الكناية عنصفة:

وهي عندما يكون المكنى عنه(أو المدلول الثاني)، أو ما يسميه القدماءبطلب نفس الصفة، وفي هذا القسم تكون الصفة هي المخفية المتوارية والمحتجبة.

2ـــــ الكناية عن موصوف:

وهي عندما يكون المكنى عنه اسما موصوفا ،أو ما يسميه القدماءطلب نفس الموصوف وفي هذا القسم يكون الموصوف هو المخفي المتواري والمحتجب.

3ـــــ الكناية عن نسبة:

[1]- الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي،القاهرة،ط7، 1418ه-1998م، ص88/1.

[2]- الخطيب القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، ضبط وشرح عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، ط1، 1904، ص 338.

وفي هذا النوع من الكناية عدول بالكلام عن التعبير المباشر، وذلك عن طريق إثبات الصفة لشيء يتعلق بمن نريد إثباتها له وهي عند القدماء طلب النسبة.

والآن نحاول تأمل أشعار شاعرنا ابن حمديس لهذا الأسلوب البياني للتعبير بشكل غير مباشر عن مشاعره وعواطفه ومكنونات نفسه والأزمات والهموم التي عاشها غريبا عن وطنه،فنجده تمكن من التعبيرعن أمور يتحاشى الإفصاح عنها:"فالكناية من الفنون الجميلةالتي تمس حياة الناس وأذواقهم وتطورهم الثقافي و الاجتماعي، وهي تحتاج إلى حس لغويمرهف، ذكي يختار المعنى ثم يخفيه مشيرا إليه بأحد المعاني المنبثقة منه، المرتبة عليهاللازمة له لزوما منطقيا أو عرفيا أو ابتكاريا من صنع الفنان نفسه"[1].

قد شغلت الكناية مكانا لا بأس به في شعر ابن حميدس،وهذا عند مقارنتنا إياها بباقي ألوان البيان الأخرى كالتشبيه والاستعارة.

نحاول التعرض لبعض الكنايات التي لها علاقة بالمكان وجماليته الشعريةعند شاعرنا ابن حميدس كما في قوله [2]:

وَبِنَفْسِي القَمَرُ الذِي أَحْيَا الَهوَى وَأَمَاتَهُ بِطُلُوعِـــهِوَغُرُوبِـــــــهِ

وَالعَيْن حَيرى مِنْ تَأَلّـــقِ نُورِهِوَالنَفْسُ سَكْرَى مِنْ تَضَوّعِ طِيبِه

نرى في هاذين البيتين جمالية الصورة الكنائية تظهر في وصف الشاعر لحبيبتهو إشراقها بالشمس ونورها، فمع طلوع الشمس تجدها توقظ مشاعرهوبغروبها يموت ذلك الشعور، كما أنّها

[1] – منير سلطان، الصورة الفنية في شعر المتنبي (الكناية والتعريض)، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 2007، ص101.

[2] – ديوان ابن حمديس،ص10.

تحير عينه من نورها الساطع ونفسه السكرى من تضوع طيبـــــــه؛ فحبـــــــــه لـــــهذه المـــــــرأة يجعلـــــه يصفـــــــها بجمـــــال أخـــــّاذ كـــــــما قـــــــد تكـــــــون كنايـــــــــة عـــــــن جمـــــال صقليـــة التي يحـــــــن إليهـــــــا ويتشوق ويأملكل طلوع شمس أن يذهب إليها وعند غروب هذه الشمس يكون فقدانه للأمل ومن الكناية عن صفة قوله [1]:

تَفِيضُ العَطَايَا بِالأَمَانِي يَمِينِه فَتَحْسَبُ فِيهِنَّ البُحُورَ ثِغَابَا

في هذا البيت نرى شاعرنا قد جاءنا بكناية عن صفة وهي صفة العطاء والكرم فهو يمدح ممدوحه بأنّه كثير العطايا وهو مثل البحر لأنّ البحر يتميز بالخيرات الكثيرة والواسعة.

كناية عن موصوف: وفيها يصرّح الشاعر بالصفة وبالنسبة ولا يصرح بالموصوف. لقد كان شاعرنا ابن حمديس من الذين ولعوا بوطنهم ولعا شديدا حيث تحدث عن بلاده ووصف كل ماحدث لها بكل فخر وحب وأسى، وفي هذا يصف لنا ما حلّ بهم بعد استدمارالنورمان لهم، قائلا [2]:

وَلَكِنْ رَأَيْتُ الغِيلإِنْ غَابَ لَيْثُهُ تَبَخْتَرَ فِي أَرْجَائِه الذِئْبُ مَائِسَا

فكلمة الغيل وضعها الشاعر كناية عن صقلية، والليث هنا يمثل أهله وأبطال صقلية لأنّهم يتميزون بالشجاعة والقوة ، فبعد غيابهم أصبح الذئب يتبختر في أرضهم متكبرا بخبثه وجبروته،فالذئب إذا كناية عن الروم أي الأعداء الذين أخذوا أرضه وقتلوا أهله. فهذا موقف مؤثر

[1] – ديوان ابن حمديس، ص 52

[2] –المصدر نفسه،ص27.

حدث لبلاده و أثر فيه، كما نجده متأثرا بغربته، وهو مشفق على نفسه من فراق وطنه، وإلى هذا يشير قوله[1]:

وَ قَالَت غَرَابِيبٌ دَرَجْنَ بَيْنَه يَسْتَخْرِجُ الأَيَّامَ وَهُوَ غَرِيب

وهنا كناية عن الغربة التي جعلته يستدرج الأيام وهو بعيد عن أهله .فهو يصف نفسه بالغريب عن أرضه وأهله وسيبقى كذلك وعندما يفقد شاعرنا أمل العودة إلى وطنه نجده حزينا، كئيبا لما أصبحت عليه حياته، وفي هذا يقول[2]:

فَإِنِّي امْرُؤٌ آوِي إِلَى الشَجَنِ الذِي وَجَدْتُ لَهُ فِي حُبِّه القَلْب نَاخِسَا

ففي هذا البيت نراه يقول (امرؤ آوى الى الشجن) كناية عن حالته التي أصبحت تعرف الحزن والبكاء والألم، كما نجد في عجز البيت عبارة (القلب ناخسا) كناية عن الحزن والطعن، الذي أصاب بلده سرقوسة.ونجده يرثي بلاده قائلا[3]:

وَلَوْ شُقِّقَتْ تِلْكَ القُبُورُ لَأَنْهَضَتْ إِلَيْهِم مِنَ الأَجْدَاثِ أُسْدًا عَوَابِسَا

ونجد الشاعر حزينا على ما تعرض له في حياته، وعلى ما أرتكبه في هذه الحياة من ذنوب ومعاصي،وعندما بلغ من الزمن عتيا انقلبت حاله وأحواله وأصبح كئيبا، خائفا، فيقول[4]:

يَارَب إِنَّ النَّارَ عَاتِيَة وَبِكُلِّ سَامِعَة لَهَا حِسٌّ

في هذا البيت نرى الشاعر يبين لناحالة هذه النّارالتي تدلّ على التهويل والتخويف، فهو خائف من شدتها ولهيبها ومن هنا نرى أسلوبه الذي جاء في صيغة نداء لله –سبحانه وتعالى– ومن هنا نرى أن ابن حمديس في آخر أيامحياته رجع إلى الزهد وعبادة الله –جل جلاله–فالضعف الإنساني يتجلّى في

[1]–المصدر نفسه ،ص38.

[2]– ديوان ابن حمديس ،ص274.

[3]– المصدر نفسه، ص276.

[4]– المصدر نفسه، ص283.

هذا الدعاء أي النداء الذي يعبر عن مناجاة الشاعر وخوفه وهلعه من يوم الحساب، فهذه كناية عن مدى خوفه واعتراف قدرته بوجود رب يحاسب ويعاقب.

ويتحدث الشاعر عن وطنه فرحا مسرورا به، وهو يصفه في أحسن حلة وصورة، في قوله[1]:(الكامل)

بَلَدٌأَعَارَتْه الحَمَامَة طَوْقَهَا وكَسَاه حُلّةَ رِيشِه الطَاوُوس

فهذه الصورة الشعرية ترتبط بموطنه صقلية التي بقيت أجمل مكان في نفس الشاعر لما تتوفر عليه من جمال وبهاء .

فهذه كناية عن صفة الجمال الذي يتميز به وطنه فالطاووس يتميز ببهاء اللون وجمال المنظر وكذلك صقلية في نفسه، وقد تحمل الحمامة المطوقة رمز السلام والسكينة والمعرفة.فصقلية كانت تتميز بالهدوء والسكينة قبل احتلال النورمان لها .

" وتحقق الكناية في الكلام مالا يحققه التحدث بموضوع اللفظ في اللغة وحقائق الخطاب،ومن ثم فهي تحرز محاسن كثيرة تخصها عن غيره وتجعل لجوء المتكلمأو المبدع إليها دون غيرها ضرورة تدعو إليها غايات الخطاب"[2]. فالكناية تحقق الفصاحة حيث يشترك اللفظ الصريح إلى لفظ الكناية حين لايحسن التصريح، ومن ذلك قوله [3]:

وَلَوْ أَنَّ أَرْضِي حُرَّة لَأَتَيْتُهَـــــــا عَزْمٍ يَعُـــــدُّ السَيْر ضَرْبَـــــــةَ لَازِب

وَلَكِنْأَرْضِي كَيْفَ لِي بِفُكَاكِهَـــامِنَ الأَسْرِ فِي أَيْدِي العُلُوجِ الغَوَاصِب

لَئِن ظَفِرَتْ تِلْكَ الكِلَاب بِأَكْلِهَا فَبَعْدَ سُكُـــون لِلْعُرُوقِ الضَوَارِب

[1]-المصدر السابق،ص553.

[2]- مختار عطية ، علم البيان وبلاغة التشبيه في المعلقات السبع ـــ دراسة بلاغيةدار الوفا لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية،(دط)،2004،ص148.

[3]- ديوان ابن حمديس،ص31.

يتحدث الشاعر عن وطنه صقلية و يؤكد أنّأرضه لو كانت حرة لعاد إليها، لكنها محتلة من طرف الأعداء ولا يستطيع الرجوع إليها ، فالكلاب هنا كناية عن جشع العدو وبطشه وطمعه وشجاعة أبطال صقلية ، فقد بقوا صامدين في وجه العدوحتى النهاية، وقوله يمدح عليا ويصفحاشيته[1]:

حَامِي الحَقِيقَةَعَادِلٌلَاتَتّقِيفِي أَرْضِهِ شَاةُ عَدَاوَة ذِيـــب

فشاعرنا يتحدث عن عدل علي وأنّه رجل حق،والعيش معه بأمان لأنه منصف، فعبارة في أرضه شاة عداوة ذيب كناية عن الأمان و الاستقرار التي تتميز به حاشيته، فالشاة آمنة من كيد الذئب الغادر في بلاده.

ومن خلال ما تعرضنا له نجد الكناية عن نسبة لم يكن لها كثير تواجد كأختيهاالكناية عن صفة وعن موصوف ولعلّ السبب في ذلك يكمن في أنّها تثبت الصفة وتنسبها للموصوف بطريقة غير مباشرة وهذا لا يخدم جانب جمالية المكان .فالكناية لعبت دورها وضخت حيوية في الصورة الشعرية والصورة المكانية وإن كان مجيئها أقل من التشبيه والاستعارة .

و في الأخير نقول أنّ الصورة الشعرية لعبت دورا كبيرا و بارزا في اضفاء جمالية فنية للمكان في شعر ابن حمديس.

[1]- المصدر السابق،ص59.

الخاتمة:

الخاتمة:

لقد لقي المكان عناية كبيرة في الأدب بوجه عام والشعر بوجه خاصٍ لذا كانت غاية هذه الدراسة استجلاء جماليات المكان في شعر ابن حمديس البائية والسينية أنموذجا. وقد توصلنا إلى نتائج أهمها:

-حظي المكان بعناية فائقة من الفلاسفة والمفكرين و الدارسين قديما وحديثا.

-اتفاق الدارسين على أنّ المكان مشتق من الكينونة والوجود الإنساني ومدى ارتباط الإنسان بالمكان وتعميق شعور الانتماء به.

-بروز صورة صقلية الوطن الأمفي شعر ابن حمديس في مواطن كثيرة، اعتزازا بها وشجاعة بأبنائها وحنينا لها بعد أن أخرج الشاعر منهاخروج المذنب.

-استخدم الشاعر المكان للتعبير عن أحواله النفسية المختلفة, فكان المكان أليفا يحس فيه بمشاعر الدفء والحب والحنين.

اتخذ المكان لدى ابن حمديس أبعادا كثيرة منها:

-البعد النفسي ارتبط بالنفس والذاكرة والحلم والطفولة.

-أبرزت في البعد الوطني والسياسي الفتنة التي هلكت بصقلية وكيف يتحول المكان إلى قضية جوهرية عندما يتعرض للسلب والاغتصاب والدمار.

-البعد التاريخي والديني وكيف تأثر الشاعر على ماجرى لدينه وانهيار المكانة التي كانت تتميز بها بلاده.

-تعرضت إلى بعض الرموز وبسطت لها بعض الدلالات فمثلا الصحراء ترمز إلى الضياع والتيه.

-حمل البحر عدة ثنائيات ثنائية العطاء والقوة, ثنائية البطش والخوف ؛كما لعب البحر دورا كبيرا في تغيير حياة ابن حمديس وأخذ معنى الاشتياق ومخاوف الفرقة الأبدية وعدم العودةالى الوطن أو الى الحياة

-حمل القبر معنى الزوال والنهاية فقد برز هذا الرمز خاصة عند موت عمة ابن حمديس وبكائه عليها.

-احتوى الفصل الثاني الصورة الشعرية التي وضّحت فيها تحول المكان إلى صورة شعرية تدخل في الاطار العام للنص الشعري وتسهم في التلقي العام وفي أخذ النص صورته الحقيقية لأنّ الصورة الشعرية ملمح جمالي هام خاصة اذ انبثق من العناصر المكانية.

-جاءت الصورة الشعرية في شعر ابن حمديس تعبيرا صادقا عن نفسه، فقد عبر من خلالها عن معاناته وأحزانه وغربته.

-اتضح من خلال دراسة الصورة الشعرية في شعر ابن حمديس أنّ التشبيه أقوى الألوان الفنية التي اعتمدها الشاعر، إذ أنّالصنعة الفنية في التشبيه صنعة سريعة لا تتجاوز عقد موازية بين أمرين يشتركان في المعنى.

-نجحت الصورة الاستعارية في إبراز الصورة الفنية للمكان وجعلته في صور فنية متحركة مشخصا للجامد ومستنطاقا له عبر الخيال.

-لعبت الكناية دورا مهما في الصورة الشعرية والمكانية وإن كان مجيؤها بصورة أقل من التشبيه والاستعارة،كماأنّ الكناية لم تترك المعنى بسيطا وساذجا،بل قامت بتورية المعنى وتكنيته أو ستره حتى

تتحرك كوامن النفس والعقل في إزالة الحجب عن ذلك المكنون المخبأ فيما وراء الكلمات.

وفي الأخير أسأل الله أن أكون قد وفقت فيما توصلت إليه من نتائج و أن يكون جهدي وعملي له فائدة للباحثين،و أرجومنهم أن يكملوا في هذا المجال و يسدو النقص فيه،وما جهدي إلّا محاولة ببدء البحث في موضوعي.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

أولا: المصادر

1-ديوان ابن حمديس, صححه وقدم له الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت،دط، 1379 ه-1960 م.

ثانيا: المراجع العربية

2-احسان عباس، العرب في صقلية-دراسة في التاريخ والأدب-دار الثقافة، بيروت، لبنان ، ط2،1975.

3-أحمد توفيق المدني، المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،ط2، 1985.

4-أحمد مصطفى المراغي،علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1414 ه-1993.

5-أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، مطبعة الاعتماد، القاهرة، ط10، 1940.

6-الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون،مكتبةالخانجي، القاهرة، ط7، 1418ه-1998م.

7-حبيب مونسي، فلسفة المكان في الشعر العربي، قراءة موضوعاتية جمالية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (دط)، 2011.

8-حمادة تركي زعيتر، جماليات المكان في الشعر العباسي،كلية التربية، جامعة تكريت، عمان، ط1، 2013م-1434ه.

9-حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط3، 2000.

10-الخطيب القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، ضبط وشرح عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، ط1، 1904.

11-الزمخشري، أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، د ط، 1979.

12-شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات، ط1، 1994.

13-شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي-عصر الدول والإمارات ليبيا، تونس، صقلية، دار المعارف، القاهرة،(دط)،(دت).

14-عبد الرزاق حسين،الأدب العربي في صقلية، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1434ه-2013م.

15-عبد القادر الرباعي، الصورة الفنية في شعر زهير بن أبي سلمى، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1984.

16-عبده بدوي، قضايا حول الشعر، قضية الغربة المكانية في الشعر العربي، الكويت، (دط)، 1406ه-1986م.

17-عبده عبد العزيز قلقية, البلاغة الاصطلاحية, دار الفكر العربي, القاهرة, ط3, 1412ه-1992م.

18-علي عبد المعطى، تيارات فلسفية معاصرة، دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية، (دط)، 1984.

19-غضوب عبد الله خميس، عبد الله بن المعتز شاعرا، دار الثقافة، الدوحة، ط2، 1986.

20-فوزي عيسى، الشعر العربي في صقلية في القرن الخامس الهجري،كليةالآداب، جامعة الإسكندرية، ط1، 2007.

21-لعموري عليش، إشكالية المكان والزمان في فلسفة ابن سينا، دراسة تحليلية نقدية، دار هومة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1984.

22-محمد عبيد صالح السّبهاني, المكان في الشعر الأندلسي- من الفتح حتى سقوط الخلافة- دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2007.

23-محمد علي عبد المعطى، قضايا الفلسفة العامة ومباحثها، دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية، ط2، 1984.

24-محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، تقديم عبد الجليل مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية-بن عكنون، الجزائر، دط، 2006.

25-مختار عطية، علم البيان وبلاغة التشبيه في المعلقات السبع-دراسة بلاغية-دار الوفا لدنيا الطباعة والنشر،الإسكندرية، (دط)، 2004.

26-مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسيموضوعاته وفنونه، دار العلم للملايين، ط2، 1979.

27-منصور نعمان نجم الدليمي، المكان في النص المسرحي، دار الكندي للنشر والتوزيع، ط1، 1999.

28-منير سلطان، الصورة الفنية في شعر المتنبي (الكناية والتعريض)، نشأة المعارف ،الإسكندرية، مصر، (دط)، 2007.

29-أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق أكرم عثمان يوسف، مطبعة دار الرسالة، بغداد، (دط)، (دت).

ب-المراجع المترجمة:

30-غاستون باشلار، جماليات المكان،ترغالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984.

ثالثا: المعاجم والقواميس

31-ابراهيم مصطفى وأخرون، المعجم الوسيط، القاهرة، مصر، ط1، 1990

32-أحمد مطلوب،معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، المجتمع العلمي العراقي، بغداد، (دط)، 1403ه-1983م.

33-أبو البقاء، الكليات، القاهرة، مصر، (دط) ،(دت).

34-جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2،كانون الثاني، 1984.

35-جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982.

36-الفيروز أبادي، القاموس المحيط، القاهرة،ط3، 1933 ،ج1.

37-ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1994.

رابعا -المجلات والموسوعات:

38-عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،، ط1، 1984 ،ج2.

39-علي مطشر نعيمة، صورة البحر ودلالاتها في شعر ابن حمديس الصقلي، مجلة آداب البصرة, العدد 42, 2007.

خامسا –المذكرات:

40-زينب يوسف عبد الله هاشم، الاستعارة عند عبد القاهر الجرجاني، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في البلاغة العربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1414ه-1994م.

41-محمد صالح خرفي، جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر،أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم،كليةالآداب واللغات، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005-2006.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة.....**أ–ب**

المدخل:

1–مفهوم المكان

أ–لغة.....ص3

ب–اصطلاحا.....ص 4

2–علاقة ابن حمديس بالمكان.....ص8

الفصل الأول:أبعاد المكان و رمزيته في شعر ابن حمديس أولا–أبعاد المكان:

1–البعد النفسي.....ص15

2–البعد السياسي والوطني.....ص20

3–البعد التاريخي و الديني.....ص25

ثانيا–رمزية المكان في شعر ابن حمديس

أ–رمز الصحراء.....ص33

ب–رمز البحر.....ص38

ج–رمز القبر.....ص43

الفصل الثاني:المكان و الصورة الشعرية في شعر ابن حمديس

تمهيد.....**ص47**

أولا–المكان و الصورة التشبيهية.....**ص49**

ثانيا–المكان و الصورة الإستعارية

1- الاستعارة لغة و اصطلاحا.....*ص55*

2–أنواع الاستعارة

أ–الاستعارة التصريحية.....ص57

ب–الاستعارة المكنية.....ص59

ثالثا–الصورة الكنائية في شعر ابن حمديس

1–مفهوم الكناية

أ–لغة.....ص63

ب–اصطلاحا.....ص63

2–أقسام الكناية.....ص64

الخاتمة.....ص71

قائمةالمصادر و المراجع.....ص73

فهرس الموضوعات